جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

" المفارقة وتجلياتها في شعر أبي الحسن الحُصْري القَيرواني "دراسة تحليلية "

إعداد

د/ فاطمة قطب مصطفى معوض
المدرس في قسم الأدب والنقد في كلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

المفارقة وتجلياتها في شعر أبي الحسن الحُصْري القَيرواني "دراسة تحليلية"

فاطمة قطب مصطفى معوض

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg

الملخص :

حظي مصطلح المفارقة باهتمام بالغ في حقل الدراسات اللغوية الحديثة؛ تقديرًا للدور الفاعل الذي تقوم به المفارقة في إثارة المتلقي، وإعمال ذهنه، مما يحفز دوره في إنتاج الدلالة، وقد وقع اختياري على شعر (أبي الحسن الحصري) تحديدًا؛ لأنه شاعر متميز عُرف ببراعته في الشعر، وشهد له بذلك الداني والقاصي، وقد تجلت تقنيات المفارقة في شعره نتيجة لما تضافرت عليه من ظروف صعبة بدءا من عاهة عماه، ومرورًا بموت أبيه ثم اغترابه وغدر زوجته به، وانتهاءً بموت ابنه (عبد الغني)، مما كان له أبلغ الأثر في رسم معالم شخصيته وتجسيد كل ذلك في شعره الذي يعد ترجمان مشاعره ومكنون نفسه، مما جعل المفارقة ماثلة في شعره بكل وضوح، من هنا جاء اختياري موضوع (المفارقة وتجلياتها في شعر أبي الحسن الحُصْري القَيرواني)؛ حيث تجلت في أشعاره تقنية المفارقة مازجة بين المعنى الظاهر غير المقصود، والمعنى الكامن وراءه والذي قصده الشاعر مُعوِّلا على ذكاء المتلقي في البحث عنه، فجاءت الازدواجية المعنوية لألفاظه صورة للازدواجية التي يعيشها الشاعر بين ظاهره ومكنونه النفسي، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتتبع الظاهرة ورصدها والوقوف عليها بالشرح والتحليل، كما استفادت الدراسة أيضا من المنهج النفسي؛ حيث إن المفارقة في الأصل تقوم على البعد النفسي، وقد حاولتْ هذه الدراسة رصد أبرز مواطن المفارقة لدى الشاعر، وأنواعها من مفارقة لفظية، وتصويرية، وإيقاعية، ومفارقة الأحوال، وربط ذلك كله بوجدان الشاعر ومكنونه النفسي.

الكلمات المفتاحية: المفارقة، شعر، الحُصْري، القيرواني، دراسة تحليلية.

Irony and its manifestations in the poetry of Abu Al-Hassan Al-Husri Al-Qayrawani "An Analytical Study"

Fatima Qutb Mustafa Moawad
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Beni Suef, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg

Abstract:
The term paradox has received great attention in the field of modern linguistic studies. In appreciation of the effective role that irony plays in stimulating the recipient and activating his mind, which stimulates his role in producing significance, I chose the poetry of (Abu Al-Hasan Al-Husri) specifically, Because he is a distinguished poet, known for his prowess in poetry, and this was witnessed by both people from far and near. This is a poet whose techniques of irony were evident in his poetry as a result of the difficult circumstances he faced, starting with his blindness, passing through the death of his father, then his estrangement and his wife's betrayal of him, and ending with the death of his son (Abdul Ghani). Because he is a sensitive poet, his poetry was a reflection of his personality, which made the paradox clearly present in his poetry. From here came my choice of topic (Irony and its manifestations in the poetry of Abu Al-Hassan Al-Husri Al-Qayrawani "An Analytical Study"), The technique of irony was evident in his poetry, mixing the apparent, unintended meaning with the meaning behind it, which the poet intended, relying on the intelligence of the recipient to search for it. The moral duality of his words came as an image of the duality that the poet experiences between his appearance and his psychological content. This study relied on the descriptive and analytical approach, which tracks the phenomenon, monitors it, and identifies it with explanation and analysis. The study also benefited from the psychological approach. Because the paradox is originally based on the psychological dimension, This study attempted to monitor the most prominent areas of paradox in the poet, Its types include verbal, pictorial, and rhythmic paradox, and the paradox of circumstances, and linking all of this to the poet's conscience and psychological inner being.

Keywords: Irony, Poetry, Al-Husri, Kairouan, Analytical study.

تقديم

الحمد لله رافع السماء بغير عمد، الذي لا يسأم من كثرة الطلب، وإذا لم يُسأل غضب، والصلاة والسلام على مَن جاء إلى الدنيا نورًا كضوء الشمس من غير سحب، وعلى آله وأصحابه وبعد،

مما لا شك فيه أنَّ الشعر عملية إبداعية، والإبداع يكره التقيُّد والحدود، والقوالب الثابتة، فكانت المفارقة إحدى الوسائل التي يتخذها الشاعر لكسر الرتابة والملل، وإضفاء مسحة جمالية على شعره، حتى إنه أصبح من الصعب أن يسلم أدب من الآداب من وجود المفارقة به سواء ما جاء منها عفو الخاطر أو متعمّدا؛ لذا يمكن اعتبار المفارقة آلية من آليات تحليل النص تساعد في إيجاد التفاعل بين النص والمتلقي، وتجعل المتلقي يسهم في إنتاج الدلالة، وقد وقع اختياري على شعر "أبي الحسن الحُصري"[1] تحديدًا؛ لأنه شاعر متميز عُرف ببراعته في الشعر، وشهد له بذلك الداني والقاصي؛ وهو شاعر عاش حياة مليئة بالعواصف يتخللها التحوُّل الجذري منذ طفولته حتى شيخوخته؛ حيث تضافرت عليه الكثير من الظروف الصعبة التي حوَّلت صفو حياته إلى كدر، بدءا من عاهة عماه، ومرورًا بموت أبيه ثم اغترابه وغدر زوجته به، وانتهاء

(١) هو "علي بن عبد الغني الفهري الحُصري أبو الحسن (ت: ٤٨٨هـ): شاعر مشهور له القصيدة التي مطلعها (يا ليل الصب متى غده) كان ضريرا من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة، اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد بن عبَّاد بقصائد، وألَّف له كتاب (المستحسن من الأشعار)، وله (ديوان شعر) بقي بعضه مخطوطا، و(اقتراح القريح واجتراح الجريح) مرتب على حروف المعجم في رثاء ولد له، و(معشرات الحصري) في الغزل والنسيب على الحروف، و(القصيدة الحصرية) في القراءات ٢١٢ بيتا، وهو ابن خالة إبراهيم الحصري صاحب زهر الآداب." **الأعلام** . خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط٧ . ١٩٨٦م . جـ٤ . ص٣٠٠، وما بعدها.

بموت ابنه (عبد الغني) مما كان له أبلغ الأثر في رسم معالم شخصيته وتجسيد كل ذلك في شعره الذي يعد ترجمان مشاعره ومكنون نفسه، مما جعل المفارقة ماثلة فيه بكل وضوح، وهذا ما دفعني إلى دراسة المفارقة في شعره؛ حيث تجلت في أشعاره تقنية المفارقة مازجة بين المعنى الظاهر غير المقصود، والمعنى الكامن وراءه والذي قصده الشاعر مُعوِّلا على ذكاء المتلقي في البحث عنه، فجاءت الازدواجية المعنوية لألفاظه صورة للازدواجية التي يعيشها الشاعر بين ظاهره ومكنونه النفسي، وعلى حدِّ علمي لم يسبق أحد من الباحثين إلى دراسة **(المفارقة وتجلياتها في شعر أبي الحسن الحُصري القيرواني)** مما ميَّز هذه الدراسة بالجدَّة والطرافة، وقد حاولتْ هذه الدراسة رصد أبرز مواطن المفارقة لدى الشاعر، والوقوف على أنواعها من مفارقة لفظية وتصويرية وإيقاعية ومفارقة الأحوال، وربط ذلك كله بوجدان الشاعر ومكنونه النفسي، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتتبع الظاهرة ورصدها والوقوف عليها بالشرح والتحليل، كما استفادت الدراسة أيضا من المنهج النفسي؛ حيث إن المفارقة في الأصل تقوم على البعد النفسي.

ومن الجدير بالذكر أن هناك دراسات عديدة حول المفارقة في الشعر منها:

١. **المفارقة في شعر بشار بن برد "نماذج مختارة"** . إعداد الباحث/ حمد محمد فتحي إلياس الجبوري . مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية . جامعة الموصل . كلية الآداب . العدد الأول . المجلد الخامس عشر . ٢٠٢٠م.

٢. **تجليات المفارقة في شعر عبد الرحيم عمر** . رجاء خليل عقيلان . مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية . كلية الآداب . جامعة اليرموك . الأردن . ٢٠٢٠م.

٣. **المفارقة في القص العربي المعاصر** . سيزا إبراهيم . مجلة فصول . عدد ٢ . ١٩٨٢م.

٤. **المفارقة في شعر أحمد مطر** . إعداد الباحث/ عقيلة جوامع . كلية اللغة

العربية وآدابها . جامعة الجزائر . ٢٠١٢م . بحث مقدم لنيل درجة الماستر في الأدب والنقد.

٥. **المفارقة في شعر محمود الخفيف** "**دراسة فنية تحليلية**" . إعداد الدكتور/ نبيل أحمد عبد العزيز . حولية كلية اللغة العربية بجرجا . العدد السابع عشر . للعام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

أما شعر الحصري فقد سبق أن تناولته بعض الدراسات، ومن أبرزها:

١. الدراسة التي قدمها الباحث/ البخاري عبد المحمود الشيخ إبراهيم، وموضوعها: **(أبو الحسن الحصري القيرواني حياته وشعره)** جامعة أم درمان الإسلامية . جمهورية السودان . كلية اللغة العربية . ٢٠٠٩م . بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد.

٢. الدراسة التي قدمها الباحث/ بشار نديم أحمد، وموضوعها: **(الزمن في شعر أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني)** . مجلة آداب الرافدين . كلية الآداب . جامعة الموصل . العراق . العدد (٨٠) . ٢٠٢٠م.

٣ـ الدراسة التي قدمتها الباحثتان/ ريان سوالمة ، يسرى بومعزة، وموضوعها: **(بلاغة الأسلوب في شعر الحصري القيرواني)** ـ جامعة العربي بن مهيدي . جمهورية الجزائر . كلية الآداب واللغات . ٢٠٢٠م / ٢٠٢١م . مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

ولا أنكر أنَّ هذه الدراسات كلها ذات قيمة في إيضاح كثير من الجوانب المهمة في حياة الشاعر وفنِّه الشعري، إلا أنها لم تجعل "المفارقة" محورًا لدراساتها، فسعت هذه الدراسة التي بين أيدينا إلى التركيز على المفارقة في محاولة لرصد مواضعها، وتجليات مظاهرها، والوقوف عليها بالشرح والتحليل، فتأتي هذه الدراسة استكمالا لما بدأه السابقون، وقد تضمنت هذه الدراسة الإجابة عن عدَّة أسئلة من أبرزها:

- ما مفهوم المفارقة؟

- ما بواعث المفارقة لدى الحصري؟
- ما أبرز أنواع المفارقة الموجودة في شعر الحصري؟ وما مظاهر كل منها؟

وقد انتظمت هذه الدراسة في تمهيد وستة مباحث تسبقهم مقدمة، وتذيلهم خاتمة، وذلك على النحو الآتي:

تضمنت **المقدمة** أهميةَ الدراسة والهدفَ منها، ومنهجَها، وتساؤلاتِها، والدراساتِ السابقة، والخطةَ التي سوف تسير عليها.

أما **التمهيد:** فيأتي بعنوان: "**مفهوم المفارقة لغويا واصطلاحيا**"، وقد عُنيت الباحثة فيه بتعريف المفارقة في الاستعمال اللغوي والاصطلاح الأدبي، وبيان العلاقة بينهما.

والمبحث الأول: جاء بعنوان: "**بواعث المفارقة في شعر الحُصري**"، وقد وقفت فيه الباحثة على أهم البواعث التي ساعدت في إيجاد المفارقة في شعر الحصري.

وجاء **المبحث الثاني:** موسوما بـ "**تجليات المفارقة اللفظية في شعر الحصري**"، وتم فيه رصد أبرز مواضع المفارقة اللفظية بنوعيها المعجمي والتركيبي، وتناول ذلك بالشرح والتحليل.

وقد جاء **المبحث الثالث** تحت عنوان "**جماليات المفارقة التصويرية في شعر الحصري**"، وقد عُني بتتبع الوسائل البلاغية التي استعان بها الشاعر لتحقيق المفارقة التصويرية.

و**المبحث الرابع** جاء بعنوان: "**تجليات المفارقة الإيقاعية في شعر الحصري**" وقد تطرَّقت فيه الباحثة إلى أبرز المواضع التي تجلَّت فيها المخالفة بين توقعات المتلقي واختيار الشاعر لبعض الأصوات، وإيثار بعضها على بعض، أو إيثار بعض الحركات على غيرها، وكذلك السكنات مما يحدث الإثارة والدهشة.

وقد تناول **المبحث الخامس** "**المفارقة الموقفية وتجلياتها في شعر**

الحصري"، ويتناول أبرز المواضع التي تجلَّت فيها المفارقة الموقفية في شعر الحصري، مع الشرح والتحليل لها.

أما **المبحث السادس** والأخير فجاء بعنوان "**مفارقة الأحوال في شعر الحصري**"، وتم فيه الوقوف على أبرز المواضع التي أفصحت عن وجود مفارقة الأحوال في شعر الحصري مع الشرح والتحليل لها.

ثم ختمت الدراسة **بخاتمة** أفصحت عن أهم النتائج التي توصلتْ إليها.

هذا والحمد لله على توفيقه لإتمام هذا العمل، وأسأله جل وعلا أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد: مفهوم المفارقة لغويا واصطلاحيا

لا شك أنَّ الألفاظ في أصل وضعها اللغوي وضعت لمعان محددة، فإذا انتقلت إلى المعنى الاصطلاحي أخذت هذه المعاني شكلا جديدا، بيد أنه لابد أن تكون هناك مناسبة تربط بين المعنيين.

•المفارقة في الاستعمال اللغوي:

المُفارقة مصدر فارَقَ، وله مصدر آخر هو فِرَاق، وقد جاء في معجم مقاييس اللغة أنَّ "الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل . أي تفريق . بين شيئين...والفُرقان: كتاب الله تعالى فرَّق به بين الحق والباطل، والفرقان: الصبح، سُمِّي بذلك لأنه به يُفْرق بين الليل والنهار...والفارِق من الناس الذي يَفْرِق بين الأمور، يَفْصِلها"(١)، فقد تمركز المعنى هنا على الفصل والتفريق بين الأمور.

وفي لسان العرب "الفَرْق خلاف الجمع...وفَارَقَ الشيء مُفارقة وفِراقًا: بايَنَهُ، وتَفَارق القوم: فَارقَ بعضهم بعضًا...والفَرْق: الفَصْل بين الشيئين"(٢)، فمعناها يدور حول التباين والتباعد.

وفي المعجم الوسيط: "فَرَقَ بين الشيئين فَرْقًا وفُرقَانا: فَصَل ومَيَّز أحدهما من الآخر، وفَرَق بين الخُصُوم: حَكَمَ وفَصَلَ، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ (المائدة: ٢٥)...وفَارَقَه مُفَارقة وفُرقانًا

(١) **معجم مقاييس اللغة** . أبو الحسن أحمد بن فارس . تحقيق/ عبد السلام هارون . دار الفكر . المجمع العلمي العربي السياسي . القاهرة . د.ط . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . جـ٤ . مادة (فرق) . ص٤٩٣: ٤٩٥.

(٢) **لسان العرب** . ابن منظور . دار إحياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان . ط٣ . ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م . جـ١٠ . مادة (فرق) . ص٣٤٣: ٣٤٥.

باعَدَه"[1]، فقد حصر معناها في الفصل والتمييز والتباعد.

وعلى ضوء ما سبق يتضح أن المعنى اللغوي للمفارقة يدور حول الفصل، والتمييز، والتباين، والاختلاف، والتباعد.

•المفارقة في الاصطلاح الأدبي:

يعد مصطلح المفارقة من المصطلحات الأدبية الغربية الحديثة التي تباينت الرؤى حول مفهومه ومن ثم أصبح من الصعب وضع تعريف جامع شامل له؛ حيث يختلف باختلاف وجهات النظر، وكلٌّ ينظر إليه من منظور مختلف، فضلا عن أنه في حالة تطوُّر مستمر، فإذا ذهبنا إلى المفارقة عند النقاد الغربيين نجد (شليكل) يرى أنَّ "المفارقة شكل من النقيضة، والنقيضة شرط لابد منه للمفارقة فهي روحها ومصدرها الأول"[2]، فقد بنى المفارقة على التناقض بين اللفظ والمعنى، بينما يرى (نورثرب فراي) أنَّ المفارقة: "وسيلة لقول أقل ما يمكن، وتحميل ذلك القول أكبر ما يمكن من المعنى، وبتعبير أكثر عمومية تعتبر نظاما من الكلمات يتجنب القول الصريح وينكر المعنى الواضح لما يقول"[3]، وهذا التعريف أشمل من غيره؛ حيث لم يقصرها على النقيضة، أو التخالف بين اللفظ والمعنى، وإنما جعلها تكمن في تحميل الألفاظ أكبر ما يمكن من المعاني، ولم يشترط التناقض بين المعنى الظاهر والكامن، في حين يُعرِّفها (رجاردز) بأنها:

---

(١) **المعجم الوسيط** . مجمع اللغة العربية . مكتبة الشروق الدولية . القاهرة . ط٤ . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م . مادة (فرق) . ص٦٨٥.

(٢) **المفارقة وصفاتها** . ميويك . ضمن موسوعة المصطلح النقدي . ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ط٢ . ١٩٨٣م . ص١٥١.

(٣) **تشريح النقد محاولات أربع** . نورثرب فراي . ترجمة: محمد عصفور . عمادة البحث العلمي . الامعة الأردنية . عمان . د.ط . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م . ص٥٠.

"إدخال النقيض والدوافع المكملة للوصول إلى وضع متوازن"[١]، فهي عنده عبارة عن تناقض ظاهري يؤدي إلى تحقيق التوازن، أما (ميويك) فيرى أن المفارقة تعني "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المتغيِّرة"[٢]، وهذا التعريف يوسع دائرة المفارقة التي قصرها معظم النقاد على قول شيء وقصد نقيضه، وبوجه عام فإن المفارقة عند الغربيين تعني: "التعبير عن موقف ما على غير ما يستلزمه ذلك الموقف، كأن نقول للمسيء تهكمًا: أحسنتَ! أو نقول للمخطئ: يا للبراعة! وتعني المفارقة أيضًا حدوث ما لا يتوقع"[٣]، فهم يبنون المفارقة على التخالف بين المعنى الظاهري والمعنى المقصود من اللفظ.

وعلى ضوء ما سبق يتضح أنَّ معظم النقاد الغربيين قد بنوا المفارقة على التناقض بين اللفظ والمعنى، أو تحميل اللفظ عدة معانٍ كامنة مغايرة لمعناه الظاهري.

فإذا انتقلنا إلى بيئتنا العربية يمكن القول بأن مصطلح المفارقة لم يرد بلفظه في تراثنا العربي، بيد أن هناك بعض مصطلحات قريبة المعنى منه إن لم تكن متقفة المعنى معه قد وردت في تراثنا البلاغي مثل (تجاهل العارف، التهكم، التورية، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه...)، وقد قدَّم النقاد العرب المحدثون للمفارقة عدة تعريفات لعل من أهمها تعريف (سعيد علوش) الذي عرَّف المفارقة بأنها: "تناقض ظاهري لا يلبث أن تتبين حقيقته، وهي إثبات لقول يتناقض مع

---

(١) **المفارقة وصفاتها** . ميويك . ضمن موسوعة المصطلح النقدي . ص١٥٤.

(٢) **المرجع السابق** . ص١٦١.

(٤) **المتوقع والـلا متوقع في شعر المتنبي"مقاربة نصية في ضوء نظرية التلقي والتأمل"** . نوال مصطفى إبراهيم . إشراف: عبد القادر أحمد الرباعي . جامعة اليرموك . كلية الآداب . الأردن . ٢٠٠٦م . ص٢٤٦.

الرأي الشائع في موضوع ما، بالاستناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام"[١]، فهذا التعريف يجعل المفارقة مقصورة على التناقض الظاهري بين الألفاظ، كما قدَّم (نواف نصار) المفارقة على أنها: "عبارة تحمل تناقضا ظاهريا، ولكن بعد وقفة من التأمل والتفكُّر يجد الباحث أنها تتضمن حقيقة توثق بين التناقضات فيها"[٢]، ولم يختلف هذا التعريف عن سابقه كثيرا، بينما تُعرِّفها (نبيلة إبراهيم) على أنها: "رفض للمعنى الحرفي للكلام لصالح المعنى الآخر، أو بالأحرى المعنى الضد الذي لم يعبر عنه"[٣]، أما (سيزا قاسم) فترى أنَّ المفارقة "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا"[٤]، فقد جعلتها من أكثر أنواع النشاط العقلي تعقيدا وهذا صحيح؛ حيث تتطلب مهارة كبيرة من المبدع كما تتطلب طول تأمل من المتلقي وإعمالا لفكره للوصول إلى مراد الأديب، بينما يرى (علي عشري زايد) أنَّ المفارقة: "تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض"[٥]، في حين يعرفها (نعمان عبد السميع متولي) بأنها: "أسلوب بلاغي يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري"[٦]، ويعرفها (محمد العبد) بأنها: "نوع من

---

(١) **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة** . سعيد علوش . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ط١ . ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م . ص١٦٢.

(٢) **المعجم الأدبي** . نواف نصار . دار ورد للنشر . الأردن . ط١ . ٢٠٠٧م . ص١٩٧.

(٣) **فن القص (في النظرية والتطبيق)** . نبيلة إبراهيم . مكتبة غريب . القاهرة . د.ط . د.ت . ص٢٠٢.

(٤) **المفارقة في القص العربي المعاصر** . سيزا إبراهيم . مجلة فصول . عدد ٢ . ١٩٨٢م . ص١٤٤.

(٥) **عن بناء القصيدة الحديثة** . علي عشري زايد . مكتبة ابن سينا . القاهرة . ط٤ . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م . ص١٣٠.

(٦) **المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم دراسة تطبيقية** . نعمان عبد السميع متولي . دار العلم والإيمان . القاهرة . د.ط . ٢٠١٤م . ص١٩.

التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر"[١]، وهكذا يتضح أن جميع هؤلاء الباحثين أجمعوا على أن المفارقة تبنى على التضاد أو التناقض الظاهري بين الألفاظ ومعناها الكامن وهو المقصود.

والمفارقة في الفلسفة تعني: "ما يضاد الرأي الشائع"[٢]، كما تعني: "الرأي الغريب الذي لا يعتقده صاحبه، ولكنه يدافع عنه أمام الناس لحملهم على إعجاب به"[٣]، وهي أيضًا: "إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستناد إلى اعتبار خفي على هذا الرأي العام حتى وقته"[٤]، فقد اتفقوا جميعًا على حصرها في الرأي المخالف.

يتضح مما سبق العلاقة الوطيدة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ حيث يدور المعنى الاصطلاحي للمفارقة حول التباين والاختلاف بين المعنى الظاهري للفظ والمعنى المقصود منه، وهذا ما أفاده المعنى اللغوي.

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول بأنَّ المفارقة وسيلة أسلوبية، وتقنية من تقنيات الخطاب الأدبي تقوم على استراتيجية الانزياح اللغوي التي تحمل غايات جمالية ودلالية يستطيع الكاتب بوساطتها تكثيف اللفظ وتحميله بأكثر من معنى؛ حيث يحمل اللفظ معنى ظاهريا غير مقصود، ومعنى كامنا هو المقصود، وتُبنى في الغالب من وجود تناقض ظاهري يحدث توترا واضطرابا للقارئ، مما يتطلب

---

(١) **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة** . محمد العبد . دار الفكر العربي . ط١ . ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م . ص١٥.

(٢) **المعجم الفلسفي** . مراد وهبة . دار قباء الحديثة . القاهرة . د.ط . ٢٠٠٧م . ص٦١٢.

(٣) **المعجم الفلسفي** . جميل صليبا . دار الكتاب اللبناني . بيروت . لبنان . د.ط . ١٩٨٢م . جـ٢ . ص٤٠٢.

(٤) **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** . مجدي وهبة، كامل المهندس . مكتبة لبنان . لبنان . بيروت . ط٢ . ١٩٨٤م . ص٣٧٦.

مهارة المبدع ويدعو إلى تأمل المتلقي وإعمال فكره للتوفيق بين هذا التناقض عن طريق مجاوزة المعنى السطحي والوصول إلى المعنى العميق الذي يقصده الأديب، فالمفارقة تتبني على التفاعل بين المرسِل، والمرسَل إليه، والرسالة أو النص الأدبي.

وكما اختلف النقاد حول مفهوم المفارقة كل حسب رؤيته، اختلفوا كذلك حول أنواع المفارقة من مفارقة لفظية وموقفية وتصويرية ودرامية وسياقية وزمانية ومكانية...إلخ، وكانت المفارقة اللفظية والموقفية من أهم أنواع المفارقات التي ذكرها معظم النقاد، وهما الأكثر تجليا في شعر الحُصري بجانب المفارقة التصويرية والإيقاعية ومفارقة الأحوال، كما سيتضح بالتفصيل في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

المبحث الأول: بواعث المفارقة في شعر أبي الحسن الحُصري

تضافرت على الشاعر أبي الحسن القيرواني الكثير من الظروف الصعبة التي قلبت حياته منذ نعومة أظفاره وظلت تتضافر عليه حتى شيخوخته، مما أصابه من عاهة العمى وموت أبيه ثم غدر زوجته وموت ابنه، فكانت هذه الظروف هي البواعث الأقوى على تجلِّي المفارقة في شعره؛ حيث خلقت نوعا من الصراع الداخلي لدى الشاعر نتج عن انكساره النفسي نتيجة لما مر به من ظروف صعبة رغم ما يتحلى به من العزة والإباء لما تميز به من حفظ القرآن الكريم بالقراءات العشر ومقدرته الفائقة على قرض الشعر فضلا عن مكانته بين علماء عصره، مما أوجد نوعا من التباين والاختلاف بين ظاهره ومكنونه النفسي هذا الأمر الذي جعل شعره يفيض بالمفارقة، ومن هذه البواعث ما يأتي:

•عاهة العمى:

هذه العاهة التي لازمت الشاعر طيلة حياته منذ طفولته حتى مماته، بل إنَّ بعض المصادر تذكر أنَّ عاهة العمى قد لازمت الشاعر منذ ولادته؛ حيث ذُكر في معجم المؤلفين أنه "ولد أعمى"(١)، كما وصفه ابن بسام بالكفيف(٢)، وكانت العرب تصف من وُلد أعمى منهم بالكفيف، بيد أن معظم المؤرخين قد أجمعوا على أنه عَمِيَ بعد ولادته، وقد قرر هذا صراحة الدكتور (عمر فروخ)؛ حيث قال في ترجمة الحصري: "هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير الحصري... ولد في القيروان سنة ٤٢٠هـ . ١٠٢٩م، في الأغلب، وقد توفيت أمُّه وهو صغير لم يجاوز دور الطفولة بعد، ثم أضرَّ (أي

(١) **معجم المؤلفين** . عمر رضا كحالة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط١ . ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م . جـ٢ . ص٤٥٩، وما بعدها.

(٢) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** . أبو الحسن علي بن بسام . تحقيق/ إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ط١ . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . جـ٤ . ص٢٤٥.

عَمِي)"[1]، وأغلب الظن أنه عمي بعد ولادته؛ ويأتي شعر أبي الحسن الحصري نفسه ليؤكد هذا الرأي؛ حيث إنَّ من يقرأ شعره يجد بعض الإشارات التي تدل على أنه ولد مبصرا ثم عمي، ومن ذلك قوله:

(من بحر الوافر)

وقالوا قد عميتَ فقلتُ كلا فإني اليوم أبصرُ من بصير[2]

فهذا القول الموجَّه إليه ممن حوله يدل على أنه كان مبصرا ثم فقد بصره؛ حيث وجهوا إليه الكلام بصيغة الفعل الماضي المبدوء بـ**(قد)** مما يدل على أنَّ العمى قد طرأ عليه، ولو كان ثابتًا له منذ ولادته لكان الأولى بهم أن يوجهوا إليه الكلام بصيغة الجملة الاسمية نحو (أنتَ أعمى) مثلا، هذا فضلا عن وجود بعض الأشعار له يتجلى فيها من الوصف الدقيق الذي يصعب على مَن ولد كفيفا لم يرَ الدنيا قط قول مثله، ومن ذلك قوله:

(من بحر الخبب)

صاحٍ والخمرُ جَنَى فمِهِ سكرانَ اللحظِ معربدُهُ

ينضُو مِن مُقلتِهِ سَيفًا وكأنَّ نُعاسًا يُغْمدُهُ[3]

ولا شك أن هذه العاهة قد تركت أثرا سيئا على نفسه، وجعلته يعيش حالة من زعزعة الثقة بالناس من حوله مما انعكس على شعره.

●موت أبيه:

نشأ أبو الحسن الحصري يتيم الأم، وأغلب الظن أن أمه قد "توفيت وولدها

---

(١) **تاريخ الأدب العربي** . عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت . ط١ . ١٩٨١م . جـ٤ . ص٧٠٧.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى . مكتبة المنار . تونس . د.ط . ١٩٦٣م . ص١٣٥.

(٣) **المصدر السابق** . ص١٤٣.

أبو الحسن لا يزال صغيرا لا يعرف عنها شيئا، بدليل أنه لم يذكرها في شعره"[١]، بينما رثى الحصري أباه في مواضع عديدة من شعره مما يدل على أنه كان في سن كبيرة وكان يدرك معنى الفقد حين توفي أبوه، ولا شك أن وفاة أمه وهو في هذه السن الصغيرة جعل أباه يحاول تعويضه عن فقدان أمه فكان له بمثابة الأب والأم معا، مما زاد من تعلق الشاعر به فضلا عن كونه وسيلته الوحيدة في التعامل مع بني مجتمعه نظرا لفقدان بصره، مما جعل وفاة هذا الأب الحنون مصيبة كبرى ألمَّت بالشاعر، فقد كان سنده وركنه الذي يحتمي إليه حين تقسو عليه الأيام، وقد رثى الحصري أباه بأبيات كثيرة تفيض منها الحرقة واللوعة على فراقه، وقد أفصح عبرها عن تحوُّل صفو حياته إلى كدر بعد وفاة أبيه، منها قوله:

(من بحر الطويل)

أبـي نَيِّـــرُ الأيـامِ بَعْـــدَكَ أظْلَمَـا ... وبُنيانُ مَجْدِي يَومَ مِتَّ تَهَدَّما
وَجِسْمِي الذي أبْلاهُ فقدُكَ إنْ أكـنْ ... رحلتُ بهِ فالقلبُ عندَكَ خيَّمـا
سَقَـى اللهُ عيني مَنْ تَعَمَّد وَقْفَـةً ... بِقَبرِكَ فاسْتَسْقَى لـهُ وترَحَّمـا
وقـالَ سَـلامٌ والثَّوابُ جـزاءُ مَـنْ ... ألمَّ على قبـرِ الغريـبِ فسلَّمـا[٢]

يرثي الحصري هنا أباه رثاء حارا ويودعه قبل رحيله من مدينة القيروان التي رحل عنها مرغما بعد نكبتها، موضحا أن أباه كان له بمثابة النور الذي يضيء حياته بعد فقدان بصره، فخيَّم عليه الظلام بعد وفاته، كما يبين أن كل ما حصل عليه من ثناء وشرف وما وصل إليه من مكانة مرموقة بين علماء عصره أصبح لا قيمة له بعد فقدان أبيه، وهو إن كان قد رحل عن مدينة القيروان

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٢.
(٢) **المصدر السابق** . ص١٢٩.

بجسمه فقد ترك قلبه مقيما عند قبر أبيه، لذا فهو يدعو مَن مرَّ على قبر أبيه أن يتوقف عنده ويترحم عليه وله من الله جزيل الثواب، ولا شك أن هذه الأبيات قد وضحت أن وفاة أبي الشاعر كانت له بمثابة الخطب الجلل الذي حوَّل صفو حياته إلى كدر.

•نكبة القيروان:

ومدينة (القيروان) هي وطن الشاعر الذي ولد وترعرع في أحضانه، ويعد (عقبة بن نافع) رضي الله عنه هو مؤسس القيروان، فـ"عندما أُسند أمر أفريقية إلى عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ جعل أول أمر يقوم به هو أن يؤسس القيروان"(١)، لتكون القاعدة الإسلامية التي يذود عنها المسلمون، لكنه بعد أن أتم بناءها "فوجيء بعزله، وأسند أمر إفريقية إلى أبي المهاجر"(٢)، ثم تعاقب الحكام الأمويون، ومن بعدهم العباسيون، ثم الأغالبة، والفاطميون على ولاية القيروان إلى أن آلت ولايتها إلى (المعز بن باديس) "إثر موت والده باديس سنة ٤٠٦هـ"(٣)، والذي أراد أن يستقل بنفسه عن الخلافة الفاطمية، ولما عجز الفاطميون عن إخضاع المعز "مال وزيرهم إلى الانتقام بواسطة تسريح أعراب الصعيد من هلال وسليم إلى إفريقية جاعلا لهم ملك ما يستولون عليه، مساعدا على تجهيزهم بالأموال"(٤)، وعندما رأى المعز منهم ما رأى من التخريب والفساد اضطر لمصالحتهم "وتزويج بناته من بعض أمرائهم، سنة٤٤٤هـ"(٥)، إلا أن هذا

(١) **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية** . محمد محمد زيتون . دار المنار . القاهرة . ط١ . ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م . ص٧١.

(٢) **المرجع السابق** . ص٨١.

(٣) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٠.

(٤) **المصدر السابق** . ص١١.

(٥) **المصدر السابق** . ص١٢.

الصلح لم يدم كثيرا، فـ"في سنة ٤٤٩هـ فسد الأمر بين المعز وبين أعراب هلال وسليم، فنقضوا الصلح المبرم سنة ٤٤٤هـ بينهم وبين المعز، وأشعلوا نار الحرب، وحاصروا (القيروان)، و(صبرة) بجموعهم، وعاثوا في الضواحي والأطراف يفسدون ويخربون ويقتلون فلم يرَ المعز بُدًّا من الرحيل وترك عاصمة إفريقية نهبا للفساد والخراب"[١]، وبعد نكبة (القيروان) اضطر معظم أهلها إلى الهجرة نجاة بأنفسهم، ومن بقي منهم مات تحت الاضطهاد والحصار، وكان الحصري ممن آثر الهجرة نجاة بنفسه من الهلاك، ولا شك أن نكبة القيروان لم تكن بالأمر اليسير؛ فقد "تشتتت مجامع العلم والأدب وتفرق روادها الذين كانت تحتفل بهم نواديها وتعج بهم مجامعها ومساجدها وقد حفرت النكبة في قلوبهم آثارا لا تمحى على الدهر، فانطلقوا يندبون عاصمتهم في قصائد خلدها التاريخ"[٢]، وقد كانت نكبة القيروان إحدى المصائب التي اجتمعت على الحصري، وقد صرَّح بذلك في قوله:

(من بحر الكامل)

والقيروانُ حِمَى أبيكَ وما نأى إلا وربعُ القيروانِ دريسُ
نحنُ البدورُ النيراتُ ومِصرُنا فلكٌ بشُهبِ رِمَاحِنا مَحروسُ
نختالُ فوق الخيلِ في ظلِّ القنا أسدًا وقدْ وَقَدَ الغداةَ وَطيسُ
لكن أصابتْنا مَصَائبُ ذُلِّلَتْ منهنَّ أمُّ الليثِ وهي شَمُوسُ[٣]

وهكذا كانت نكبة القيروان إحدى المصائب التي حلت بالشاعر، فحوّلت حياته، وأبدلته من بعد أمنه خوفا، ومن بعد عزه ذلا.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٦.
(٢) **المصدر السابق** . ص٣٧.
(٣) **المصدر السابق** . ص٤٢٢.

●اغترابه:

قدر الله تعالى لشاعرنا أن يعيش مغتربا بعد نكبة وطنه القيروان وتخريبها من قبل بني هلال، فاتجه إلى مدينة "سبتة واستقر بها؛ حيث وجد إقبالا من أهل العلم والطلبة...وهناك اتصل بملوك الطوائف في الأندلس، فراسلهم بالمدائح...ثم اجتاز بعد ذلك الأندلس التي قضى فيها نيفا وعشرين سنة بين عواصمها وأمرائها"[(١)]، ولا شك أنَّ اغترابه عن بلدته كان أحد الأسباب التي جعلته يعيش حياة حزينة، بائسة، حتى إنه اعتبر الغربة موتا للإنسان قائلا:

(من بحر البسيط)

مَوتُ الكِرامِ حَيَاة في مواطِنِهم فإنْ هُم اغْتَرَبُوا مَاتُوا ومَا مَاتُوا[(٢)]

وهذا يفصح عن الصراع النفسي الذي كان يعيشه الشاعر بسبب غربته، فلم ينس الشاعر وطنه، وكان دائم التذكار له حتى في مراثيه لابنه تجده يقول:

(من بحر المتقارب)

نسيتُ به جنَّتي القيروان وعِشتُ به ناعمًا في لَظَى[(٣)]

فقد صوَّر وطنه القيروان على أنه **(جنَّة)** بينما صوَّر غربته في صورة **(لظى)**.

وهكذا كان لاغتراب الشاعر وقعه الأليم على نفسه، وكان أحد الأسباب التي حولت صفو حياته إلى كدر.

●غدر زوجته:

صُدِم الحصري في زوجته صدمة كبيرة؛ حيث كان يحبها حبًّا جمًّا، بينما أحبَّت هي غيره، وطلبت منه الطلاق رغم كل ما قدّمه لها من العطاء الوفير،

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٤٠.

(٢) **المصدر السابق** . ص١٢٥.

(٣) **المصدر السابق** . ص٣٤٦.

وفي ذلك يقول:

(من بحر الطويل)

بذلتُ العطاءَ الجزْلَ كيما أصونها فباعتكَ بالأوطارِ وادَّعتْ المَنْعَا[١]

وقد كنَّى بـ**(الأوطار)** هنا عن العلاقة الجسدية، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، ويبدو أنَّ تلك الحادثة قد تركت في نفسه جرحًا عميقًا ليس من السهل شفاؤه، لذا تجده يركز على تلك الوقعة ويذكرها في مواضع عديدة من أشعاره، فلم يستطع نسيان هذه المحنة ولم يستطع تجاوزها بسهولة، بل إنها قد أحدثت عنده عقدة من كل النساء، فأصبح لا يثق بأية امرأة، وقد صرَّح بذلك في مواضع عديدة، منها قوله:

(من بحر الطويل)

ولمَّا دَهَاني الدهرُ وابني وأمُّه بِحَرْبَيْن بِكْرٍ مُرَّةٍ وعَوَانِ

صَدَدْتُ عن البِيضِ الرعابيبِ سلوةً وأقسمتُ جُهدًا لا مَلَكْنَ عِنَاني[٢]

فقد شبَّه المصائب التي أصابته من فقد ابنه وغدر زوجته بحربين، أشار إلى الأولى وهي فقد ابنه بقوله **(بِكْر)** وهي الحرب الجديدة التي داهمته بشكل مفاجئ قاس، بينما أشار إلى الثانية وهي غدر زوجته بقوله **(عَوَان)** وهي الحرب القديمة التي لا تزال قائمة، مما جعله يتجنب جميع النساء الجميلات ويقسم على تحكُّمه في نفسه وعدم السماح لأي امرأة في السيطرة على قلبه.

وهذه الزوجة لم تغدر بزوجها وحده بل غدرت بابنها (عبد الغني) أيضًا؛

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٩٦.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٧٨.

حيث فارقته وهو في سن صغيرة يحتاج إلى رعايتها، وفي هذا يقول الحصري:

(من بحر الكامل)

غَدَرَتْ أباك وغَادَرَتْكَ لِوَحْشَةٍ ما أنشزَ البِيضِ الحِسانِ وأنشصا[١]

مما أحزن هذا الطفل حزنا كبيرا، وكان سببًا في بداية مرضه الذي أفضى إلى موته، كما وصف الحصري ذلك في قوله:

(من بحر الرمل)

نَهَكَتْـهُ عِلَّـةٌ مَبْدَؤُهـا وَحْشَةُ الأمِّ متى تُذْكَر تَشُقْ[٢]

وهذا جعله يصرح بسببها في الكثير من أشعاره، ومن ذلك قوله:

(من بحر الطويل)

وكنتُ أُداريهـا وأرقِـــي سِمَامَهـــا على أنَّ أفعالي تُسَـمُّ بهـــا الأفْعَـى
عليكَ حذارِ اليُتـمِ حتى تمـــرَّدتْ وقيـل اتَّرِكْهَـا إنهـا حَيَّـــــةٌ تَسْعَـى
رأيتُ أحـــــبَّ الغانيـاتِ لبَعْلِهـــا إذا شابَ لا ترضى، وإن غابَ لا ترْعَى
فقل للهوى حَسْبِي بما ملكتْ يدي ولو أنني استبدلـتُ بالـدُّرَرِ لجزْعَـا[٣]

ويبدو من الأبيات السابقة أنه قد رسم لهذه الزوجة في مخيلته صورة جميلة، فتجده مرة يصفها بأنها من **(البِيضِ الرعابيبِ)**، وثانية يصفها بأنها من **(البِيض الحِسان)**، وأخرى يصفها بـ**(الدُّرَر)**، تلك الأوصاف التي تؤكد شدة تعلقه بها، ولم يقف الأمر عند حد ما رسمه لها من جمال الشكل فحسب، بل يبدو كذلك أنها كانت على قدر من العقل والوقار؛ حيث وصفها بالرزانة في قوله:

(من بحر الطويل)

وأصفحُ عن دهرِي على أنَّ صرفَه رَزَانِي بفقد ابنٍ وغَدْرِ رزانِ[٤]

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٨.
(٢) **المصدر السابق** . ص٤١١.
(٣) **المصدر السابق** . ص٣٩٦.
(٤) **المصدر السابق** . ص٣٨٠.

لذا كان غدرها له مصيبة أخرى تضاف إلى المصائب التي حلت به.

•موت ابنه (عبد الغني):

يُعدُّ فقدان الحصري لابنه (عبد الغني)، بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير؛ حيث مرَّ الشاعر بالكثير من الظروف الصعبة في حياته بدءا من فقدان بصره، وموت أبيه واغترابه عن وطنه، وغدر زوجته، ومع ذلك كان متماسكا صابرا، غير متضعضع أمام نوائب الدهر، حتى مات (عبد الغني) الذي كان أحب أبنائه إليه، وهنا تهدَّم ركن الشاعر، ولم يستطع الصمود أمام نكبات الدهر، فانطلق يبكيه بكاء مريرًا، وفي هذا يقول الحصري:

(من مجزوء الوافر)

أطعتُ الصبرَ في نُوَبٍ علـيَّ الدهـــــرُ لوَّنَهَـــا

وفي عبد الغني ابنـــي عصيـتُ الدهرَ حين نَهَى[١]

كما بيَّن أيضًا عدم تماسكه بعد فقدان ابنه في قوله: **(من بحر الرمل)**

كَانَ دَمْعِي بَعْدَ فُقْدَانِي لهُ في يَدِ الصَّبرِ أسِيرًا فانْطَلَقْ[٢]

وخاصة أنَّ اسمه كان على اسم أبيه **(عبد الغني)**، وقد وضح الحصري ذلك في أكثر من موضع، منه قوله:

(من بحر الطويل)

فَقَدْتُ أبي ذا الخيرِ وابني سَمِيَّه وما اسْطَعتُ عن نفسِي ولا عنهما دَفْعَا[٣]

ولم يكن الأمر مقصورا على الشبه بين اسم ابنه عبد الغني واسم أبيه، بل إنَّ هذا الولد كان يشبه أباه في الشكل والصفات أيضًا مما زاد من تعلق الحُصري به، وفي ذلك يقول الحصري: **(من بحر الرمل)**

يا شَبِيهًا وَسَمِيًّا لأبي كنتَ برًا بي إذا غيرك عَقْ[١]

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٢.

(٢) **المصدر السابق** . ص٤١١.

(٣) **المصدر السابق** . ص٣٩٧.

ويبدو أن الشاعر كان متعلقا بأبيه أشد التعلق؛ حيث كان سبيله في التعامل مع المجتمع الخارجي بعد فقدان بصره، مما جعله يزداد تعلقا به، وبعد موت أبيه صار ابنه عوضا عنه، خاصة أنَّ اسمه كان على اسم أبيه، وكان شبيها له، ليس هذا فحسب بل إنَّ هذا الطفل قد جمع من الخصال الحميدة والبرِّ والذكاء ما يصعب جمعه في أي طفل في مثل سِنه، وفي هذا يقول الحصري:

(من بحر الكامل)

أبكِي على ابنِ ذُكاء إنَّ ذَكَاءَه فَكَّ المُعَمَّى واستبانَ الأعْوَصَا
أقلامُـــهُ أُسُلٌ تـروعُ عـدوَّهُ وكلامُـهُ درٌّ يفـوتُ الغُوَّصَـا[٢]

يرثي الحصري هنا ابنه مشيدا بفطنته وذكائه الذي فاق سِنه وجعله يستجلي ما غمض من الأشياء ويستوضح ما استعصى من الأمور ببصيرته وحكمته، ثم هو يشبِّه أقلامه بالسيوف الحادة التي تُربك الأعداء وتحيرهم، كما يشبِّه كلامه بالدرر الثمينة التي يصعب على الغواصين الوصول إليها، مما يشير إلى عمق معانيه وعلو بلاغته رغم صغر سِنّه.

ويقول أيضًا:

(من مجزوء المجتث)

مـا زالَ منـــكَ رواحٌ إلـــى العُـلا وابتِكَـارُ
حتـى وعيتَ صغيـرًا مـا لا تعِيـهِ الكبـارُ
فضيلـــةٌ كلَّفتْهُـــمْ أن يَحْسُدُوا أو يَغَارُوا
وكنتَ في الرأيِ أهدى مِن كلِّ مَن يُسْتَشَـارُ[٣]

يوضح الحصري في هذه الأبيات سعي ابنه الدائم نحو المعالي والإبداع،

=

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٤١٤.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٨٩.

(٣) **المصدر السابق** . ص٣٢٧، وما بعدها.

مما جعله ناضج الفكر يستطيع وهو في هذه السن الصغيرة إدراك ما يستعصي على الرجال إدراكه، وهذه الفضائل العظيمة التي تميَّز بها جعلته محل حسد وغِيرة من الآخرين، ثم هو لرجاحة عقله وصواب رأيه كان دائما أهدى مَن يُستشار.

وعلى هذا النحو يتبين أن هذا الولد كان هو الأمل الوحيد المتبقي للحصري بعد موت أبيه، وغدر زوجته به، فضلا عن فقدان بصره، وبموته أصبح الشاعر يائسا بائسا لا يجد في حياته أي بصيصٍ من نور، وفي هذا يقول الحصري:

(من بحر الوافر)

وَمَاتَ ابني فَهَا أنا لا فُؤَادٌ ولا بَصَرٌ ولا مَوتٌ مُرِيحُ[1]

وهكذا جسَّد الحصري معاناته بعد فقد ابنه، وصورها تصويرًا يفيض بالحزن وينبض بالأسى.

وعلى ضوء ما سبق يتضح كيف تضافرت الكثير من الظروف الصعبة على شاعرنا أبي الحسن القيرواني منذ طفولته وحتى شيخوخته مما جعله يعيش حالة من عدم الثقة ببني مجتمعه من حوله، وقد ترك ذلك أثره في شعره، فأخذ يعبر عنها بأسلوب شيق مفعم بالجمال ومحمَّل بطاقات دلالية مكثفة، ومن الجدير بالذكر أن تلك الظروف التي تمثل بواعث المفارقة في شعر الحصري لم تكن واحدة في تأثيرها عليه، فقد تفاوتت في هذا التأثير قوة وضعفا، فكان أشدها تأثيرا وتغييرا في حياته وأقواها في تجلي المفارقة في شعره موت ابنه (عبد الغني) الذي كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير ولذلك فإن معظم الأبيات التي ظهرت فيها المفارقة عنده هي الأبيات التي رثى فيها ابنه كما سيتضح بالتفصيل في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٠٢.

المبحث الثاني: تجليات المفارقة اللفظية في شعر الحُصري

والمفارقة اللفظية هي التي يعتمد فيها الشاعر على مخالفة المعنى الظاهر للفظ الذي يقصده، وهي "في أبسط تعريف لها هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر"(١)، فوجود تضاد بين الكلمتين لا يكفي للقول بوجود مفارقة لفظية بينهما، وإنما لابد أن يحمل هذان اللفظان معنيين مجازيين كامنين وراء المعنى الظاهر؛ حيث ترتبط المفارقة اللفظية بالمجاز ارتباطا وثيقا، وقد ظهرت المفارقة اللفظية عند الحصري على المستويين المعجمي، والتركيبي.

أولا: المستوى المعجمي:

ويتمثل في التضاد بين الألفاظ، ومن ذلك قول الحصري:

(من بحر الوافر)

وقالوا قدْ عَمِيتَ فقلتُ كَلَّا فإني اليومَ أبْصَرُ من بَصِير(٢)

ينقل الشاعر هنا قول الناس له بأنه قد عمي، كما ينقل ردَّه عليهم بنفي ذلك والتأكيد على أنه أبصر من بصير، ويرتكز الشاعر هنا على الثنائية الضدية بين لفظي **(عميتَ)**، و**(أبصرُ)**، وهذا التضاد بين الألفاظ جعل المتلقي في حيرة من أمره؛ حيث يشهد واقع الحصري والناس من حوله بأنه أعمى، بينما هو ينفي ذلك عن نفسه ولم يكتفِ بهذا النفي بل تسامى عنه بأفعل التفضيل التي تفيد بأفضليته عن المبصرين، مما يجعل المتلقي يقع في حيرة من أمره ويحاول السعي جاهدا للتوفيق بين هذا التضاد الظاهري ومعرفة ما تحمله الألفاظ من معان خفية قصدها الشاعر، وتتحقق المفارقة هنا بانتقال لفظ **(أبصر)** من معناه

---

(١) **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة** . ص٧١.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣٥.

الظاهر وحقله الدلالي المعروف إلى حقل دلالي آخر أكثر عمقًا، فـ**(أبصر)** هنا في ظاهر معناه يرتبط بالرؤية البصرية، وقد نقل الشاعر معناه إلى البصيرة المرتبطة بالرؤية القلبية، ولعل الغرض وراء ذلك هو محاولة الشاعر خلق نوع من التوازن النفسي، بين فقدان بصره، ونور بصيرته الذي عوضه الله به عن فقدان بصره، ولا يخفى ما قامت به المفارقة اللفظية هنا من إحداث الإثارة والتشويق فضلا عن تكثيف الدلالة؛ حيث سلط الضوء عبر تلك المفارقة على بعض المعاني التي أراد إيصالها للمتلقي، وهي أنَّ مَن ظن أنَّ العمى يتمثل في ذهاب البصر كان مخطئا في ظنه؛ لأن العمى الحقيقي هو عمى القلب، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ **(الحج: ٤٦)**.

كما تتشكل المفارقة اللفظية عبر التضاد بين الألفاظ في قول الحصري:

(من بحر الوافر)

تُمِرُّ لأهلِها الدُّنيا وتُحْلِي وتُحدِثُ في سَوَادِهِمُ البَيَاضَا[1]

يحاول الشاعر هنا أن يسلِّي نفسه ويصبرها على ما لاقته من محن وخطوب، فيذكر حال الدنيا وتقلبها، معبرا عن ذلك بوساطة التضاد بين لفظي **(تمر، تحلي)**، وكذلك لفظي **(سواد، بياض)**، وتتشكل المفارقة اللفظية هنا من مخالفة المعنى السطحي لهذه الألفاظ مع معناها المقصود، مما أوقع المتلقي في حيرة من أمره كيف يكون للدنيا أن تمرَّ لأهلها أو تُحلي، أو تبدِّل سوادهم إلى البياض، مما أجبر المتلقي على سبر أغوار تلك الألفاظ لمعرفة المعنى العميق الذي قصده الشاعر؛ حيث تجاوزت تلك الألفاظ معناها الحقيقي إلى معنى الحزن

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٩٣.

والسرور، وقد ساعدت المفارقة هنا في تجسيد حقيقة الدنيا في صورة حسية مؤثرة بوساطة الصورة الذوقية المتمثلة في قوله: **(تُمِرُّ لأهلِها الدُّنيا وتُحْلِي)**، والصورة البصرية المتمثلة في قوله: **(وتُحدِثُ في سَوَادِهِمُ البَيَاضَا)** مما كان له أثره في ترسيخ المعنى وتأكيده في نفس المتلقي.

كذلك تبدو المفارقة اللفظية في قول الحصري:

(من بحر البسيط)

مَوتُ الكِرامِ حَيَاة في مواطِنِهم فإنْ هُم اغْتَرَبُوا مَاتُوا ومَا مَاتُوا[1]

يتحدث الشاعر هنا عن الكرام وهم أهل المروءة والفضيلة الذين يتركون بأعمالهم الفاضلة بصمات لا تنسى في وطنهم حتى بعد موتهم؛ حيث تبقى ذكراهم وأعمالهم الطيبة بين أهلهم فتجعلهم كأنهم أحياء، فإن اغتربوا عن أوطانهم صاروا كأنهم موتى . رغم عيشهم . لأنهم يفقدون المكان الذي أعطى لوجودهم معنى وأثرا، وقد صور الشاعر بذلك الواقع الأليم الذي يعيشه الكرام في غربتهم، وقد تجلت المفارقة اللفظية هنا عبر التضاد بين لفظي **(موت، حياة)** وأيضًا لفظي **(ماتوا، وما ماتوا)**؛ حيث جعل الشاعر البعد عن الوطن والعيش في الغربة هو الموت الحقيقي، وعلى العكس إذا اختار الإنسان الموت في وطنه على الاغتراب فهو عين الحياة، وقد تجاوز الشاعر المعنى السطحي للفظتي **(حياة، وماتوا)** إلى معنى آخر أكثر عمقا؛ فلفظ **(ماتوا)** قد تعدّى معناه الظاهري إلى معنى آخر هو الحياة التي تنطوي على المذلة؛ فغربة الكِرام قد تؤدي إلى إذلالهم بعد عز، وهذا هو عين الموت بالنسبة لهم . رغم حياتهم الفعلية . كذلك لفظ **(حياة)** تجاوز معناه القريب إلى معنى آخر يتصف بالعمق وهو أن حفظ الكرامة وعدم التعرض للإذلال . حتى مع الموت . هو الحياة بعينها، وقد ساعدت

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٥.

تلك المفارقة في تعميق شعور الشاعر بمأساة اغترابه.

كما تتجلى المفارقة اللفظية في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

ذَلَلْتُ فِطَامًا بَعدَ عِزٍ رَضَعْتُهُ وأَغْرَقْتُ نَفْسِي حَيثُ مَا لِي مُنقِذُ(١)

يتذكر الشاعر هنا زمن الوصل بينه وبين محبوبته، واغترافه من فيض حبها، بعد أن فرَّق الدهر بينهما، وما زال قلبه متعلقا بها ولا يستطيع الصبر على فراقها، فأصبح ذليلا بعد عز، وتتشكل المفارقة هنا بوساطة التضاد بين لفظي **(فطاما، رضعته)** حيث تجاوز هذان اللفظان معناهما السطحي ليحملان معنى آخر أكثر عمقا؛ فقد قصد الشاعر بالفطام أيام هجر المحبوبة، وبالرضاع أيام وصله لها، ولا يخفى ما قامت به المفارقة هنا من تأكيد علاقة الحب بينه وبين ومحبوبته؛ حيث إن استخدام لفظي الفطام والرضاع زاد من توثيق الصلة بينهما وجعلها أقرب إلى علاقة الأم بطفلها، هذا الأمر الذي يترتب عليه مضاعفة معاناته بعد هجر تلك المحبوبة.

وثمة موضع آخر تبدو فيه المفارقة اللفظية التي تجسدت عبر التضاد بين الألفاظ، تتمثل في قول الحصري:

(من بحر المتقارب)

وَيْلَتَا ما رَضَعْتُ ثَدْيَ الأَمَانِي يا بنيَّ حتى أتاني الفِطَامُ(٢)

يرثي الشاعر هنا ابنه (عبد الغني) موضحا أن ما كان يبنيه عليه من آمال لم يدم كثيرا؛ حيث فاجأه الموت بأخذ ابنه، وتتشكل المفارقة هنا بوساطة التضاد بين لفظتي **(رضعت)**، و**(الفطام)**، وهذا التضاد بين هاتين اللفظتين بما

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٢٠.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٧١.

تحملانه من معانٍ ظاهرة قد أثار انتباه المتلقي مما جعله يسعى جاهدا لمعرفة ما تحمله هاتان اللفظتان من أغراض خفية قصدها الشاعر، ويبدو أن الشاعر قد انتقل من حقلهما الدلالي المعروف إلى حقل دلالي آخر أكثر عمقًا، فأشار بلفظ **(رضعتُ)** إلى الأمل والرجاء في طول عمر ابنه ونبوغه، ولا يخفى جمال التصوير هنا حيث صور الأماني وكأنها غذاء روحي له ومصدر لعيشه وبقائه، بينما أشار بلفظ **(الفطام)** إلى موت ابنه، وقد صور بوساطته انقطاع الأمل والجبر على مواجهة ضياع الأماني وتبخر الأحلام، ولا يخفى جمال المفارقة هنا؛ حيث ساعدت في تجسيد مأساة فقدان الشاعر لابنه في صورة حسية مؤثرة مما جعلها أقوى تأثيرا في النفوس.

وهكذا يتضح الدور الفعال الذي قامت به المفارقة اللفظية؛ حيث إحداث الدهشة والتشويق، فضلا عن تعميق المعنى وتأكيده في نفس المتلقي.

ثانيا: المستوى التركيبي:

وفي هذا النوع تظهر المفارقة في سياق المستوى التركيبي للجمل، وقد تجلى في شعر الحصري بوساطة ظاهرتي التقديم والتأخير، والإضراب على نحو ما سيتضح.

•مفارقة التقديم والتأخير:

المتأمل في شعر الحصري يجد المفارقة قد تجلت في مواضع كثيرة منه عبر ظاهرة التقديم والتأخير، ومن ذلك قوله:

(من بحر البسيط)

وأينَ آياتُكَ اللاتي مَلأنَ دمًا عيني وآلمْنَ قلبي أيَّ إيلامِ[1]

يصور الشاعر هنا حالة الحزن الشديد والمعاناة التي يمر بها جراء فقدان

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٦٩.

ابنه، وتتشكل المفارقة هنا من تجاوز الشاعر الأصل في ترتيب أجزاء الجملة؛ حيث قدَّم المفعول الثاني **(دما)** على المفعول الأول **(عيني)** مما أحدث مفاجأة للقارئ نتجت عن كسر توقعاته، فالآيات التي اتصف بها ابنه ليس من شأنها أن تُدخل الحزن على الشاعر، بل على العكس فقد كانت مصدرا لسرور الشاعر وسعادته، إلا أنَّ الشاعر هنا جعلها مصدرا لبلوغه أقصى درجات الحزن مباغتا المتلقي بقوله **(دما)**؛ وذلك لأنه كلما تذكرها بعد موت ابنه زادت من حزنه عليه، وقد نبَّه الشاعر عبر تلك المفارقة إلى غاية جمالية تتمثل في إثارة انتباه المتلقي، وأخرى دلالية وهي تعميق الشعور بالمعاناة التي يعيشها بعد فقدان ابنه.

وقد عمد الشاعر في موضع ثان إلى تجاوز الترتيب الأصلي للجملة صانعًا المفارقة بوساطة ذلك، وذلك في قوله:

(من بحر الطويل)

كَرِهْتُ حَيَاتي، واسْتَطَبْتُ مَنِيَّتي إذا ضَحِكَتْ سِنِّي، فَعَيْنِي دَمًا تَبْكِي(١)

يفصح الشاعر هنا عن الحالة النفسية السيئة التي يعيشها بعد موت ابنه، وتتجلى المفارقة هنا في قوله **(إذا ضَحِكَتْ سِنِّي، فَعَيْنِي دَمًا تَبْكِي)**، فمن المعروف أن الضحك علامة الفرح والسرور، فإذا بالشاعر يقلب هذا المعنى ويجعل مظاهر الفرح الظاهري المتمثلة في الضحك ليست سوى غطاء للحزن الشديد والأسى العميق الذي يعانيه داخليا؛ حيث تبكي عيناه في الوقت الذي تضحك فيه سِنُّه، والشاعر هنا يتخطى الترتيب الأصلي للجملة فيقدم المفعول به **(دمًا)** على الفعل **(تبكي)** محدثا عبره صدمة للقارئ، حيث لم يجعل عينيه تبكي دموعا كالمعتاد، وإنما جعلها تبكي دمًا، وقد صور الشاعر بوساطة تلك المفارقة حالته الشعورية؛ حيث يُظهر السعادة أمام الناس بينما يخفي داخله ألما عميقا،

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٣٣.

مما كان له أثره في إثارة التعاطف وتعميق المشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي.

كما تبدو مفارقة التقديم والتأخير في قول الحصري:

(من بحر الخفيف)

عَجَبًا لِي أجُرُّ في الدَّهرِ ذَيْلِي وأنا في يَدَيهِ رَهْنٌ ومِلْكُ[1]

يتحدث الشاعر هنا عن حاله مع الدهر موضحا المفارقة بين فعل الدهر معه وردة فعله هو على ذلك، وقد بنى المفارقة هنا بوساطة التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم الجار والمجرور **(في الدهرِ)** على المفعول به **(ذَيلِي)** ليؤكد بذلك على شدة فخره واعتزازه بنفسه أمام الدهر، كما قدَّم الجار والمجرور **(في يديه)** على الخبر **(رهنٌ)** ليدلل به على تمكُّن الدهر منه وتصرفه فيه كيف يشاء، صانعًا بوساطة ذلك مفارقة تركيبية، فجرّ الذيل ينبئ عن الفخر والعزة، وهذا ما يتناقض مع كون الإنسان رهن ومِلك، فالعبودية تستدعي الذل والانكسار؛ وقد رسم الشاعر عبر تلك المفارقة صموده وعدم انكساره أمام نوائب الدهر.

وثمة موضع آخر تشكلت فيه المفارقة عبر التقديم والتأخير، وذلك في قول الحصري:

(من بحر المديد)

كُلَّما رُمْتُ الأسى نَكَأَ الـ قرحَ دَهْرٌ دأبُهُ النَكَدُ[2]

يصور الشاعر هنا معاناته مع الدهر الذي لا يكف عن إنزال المصائب به، وكلما طلب الشاعر التصبر والسلوان عن بعض مصائبه، أنزل عليه الدهر مصيبة أخرى تجدِّد عليه أحزانه، وكلما التأمت جراحه، أحياها الدهر له مرة أخرى، وتتجلى المفارقة في تقديم المفعول به **(القرحَ)** على الفاعل **(دهرٌ)** مجسدا

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٥١.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٠٨.

عبره صورة متناقضة بين ما يطلبه الشاعر وما يفعله الدهر معه، حيث ساعدت المفارقة التركيبية بوساطة التقديم هنا في تجسيد جراح الشاعر ومعاناته وانشغاله بما حلَّ به من مصائب أكثر من انشغاله بالفاعل مما يعكس براعة الشاعر في إبراز حالة الألم التي يعيشها؛ لذلك تجده ينكِّر الفاعل **(دهرٌ)** دلالة على عدم اكتراثه به، ثم هو يصفه بقوله: **(دأبه النكد)** مما يظهر الزمن وكأنه يدور في فلك المعاناة فقط، ولا يخفى دور المفارقة التركيبية هنا في تعميق الشعور بمعاناة الشاعر وتعزيز التفاعل العاطفي بينه وبين المتلقي.

•مفارقة الإضراب:

وتتحقق مفارقة الإضراب بأن يثبت الشاعر شيئا، ثم يعدل عنه بإحدى أدوات الإضراب (لكن، إلا الاستثنائية، إن الشرطية، إذا الفجائية...إلخ)، وتتجلى مفارقة الإضراب عند الحصري في الكثير من المواضع، ومنها قوله:

(من بحر المنسرح)

بيَّـضَ كلٌّ ولا بَيَـاضَ معـي إلا بَيَاضَ المشِيبِ والبَشَـرَه

فغِبْتُ عن مَجْلِسِ العَزَاءِ على رَغْمي وإنْ كان مِقْوَلي حَضَرَه[1]

قال الشاعر هذين البيتين ضمن قصيدة رثى بها (المقتدر ابن هود)، وقوله **(بـيَّض كـل)** أي لبس الجميع الثياب البيض وهو ثياب الحداد في الأندلس، والشاعر هنا يبرر عدم حضوره مجلس العزاء بعدم توفر ثوب أبيض لديه، وبعد أن ينفي توفر الثياب البيض لديه تجده يستثني شيئا ذاكرا (إلا) الاستثنائية التي تجعل المتلقي يتوقع أن يذكر الشاعر بعدها شيئا له علاقة بالثياب، فإذا بالشاعر يتخطى أفق توقعات المتلقي منتقلا بالكلام من بياض الثياب إلى بياض الشعر الذي يُؤذِن بالمشيب، عاطفًا عليه بياض البشرة دلالة على الشحوب والضعف

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٩.

بسبب الكِبَر أو الحزن . ولعله أراد ببياض البشرة هنا بياض عينيه . ليصنع المفارقة بوساطة هذا الإضراب، حيث إن بياض الثياب هو المطلوب في مجلس العزاء، أما بياض الشيب والبشرة فلا يمكن أن يقوما مقام الثياب البيض في مجلس العزاء، ويبدو أنه أراد أن يلفت الأنظار إلى شيخوخته فضلا عن عماه الأمر الذي يجعلهم يلتمسون له العذر في عدم الحضور، ثم تمتد المفارقة إلى البيت الذي يليه فتجد الشاعر يقرّ في الشطر الأول بغيابه عن مجلس العزاء، ثم تجده يفاجئ المتلقي في الشطر الثاني بأن مِقْوَله قد ناب عنه في حضور المجلس، فرغم غيابه عن مجلس العزاء جسديا فإن كلماته ومشاعره قد حضرا نيابة عنه، ولا يخفى الدور الفعال للمفارقة هنا؛ حيث ساعدت في التماس الأعذار للشاعر عن عدم حضور ذلك العزاء.

كما تتشكل المفارقة بوساطة الإضراب بـ**(إلا)** في قول الشاعر:

(من بحر الخفيف)

مَرَّ عِيدِي فما سَفَحْتُ دمًا إلـ لا مِن العَينِ والمعيشةُ ضنكُ[1]

فالشاعر هنا يتحدث عن عيد الأضحى الذي يُسَنُّ فيه الأضحية، فيقرّ بمرور العيد عليه دون أن يذبح أو يسفح دمًا، مُتبعا ذلك بـ**(إلا)** الاستثنائية التي تجعل المتلقي يتوقع أن يذكر الشاعر بعدها شيئا له علاقة بالأضحية، فإذا بالشاعر يكسر توقعاته قائلا: **(إلا من العين)** فقد سفح الدم من عينه بدلا من سفح الأضحية، وهنا تتصاعد المفارقة لتبلغ ذروتها حيث جعل من العيد الذي هو وقت السرور والفرح، وقتا لبلوغ الحزن أقصاه؛ حيث يبكي فيه الشاعر دمًا بدلا من الدموع، وثمة مفارقة أخرى تتجلى في قوله **(والمعيشة ضنك)** هذا القول الذي يحمل معنيين الأول منهما معنى ظاهري يتمثل في الضيق المادي

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٥١.

للمعيشة، وهو ما يتناسب مع عدم القدرة على الأضحية، فمن المعروف أنَّ الأضحية سُنَّة مؤكدة على المستطيع ماديا، ولكن بالنظرة الفاحصة يتضح أن الشاعر لم يقصد الضيق المادي، وإنما قصد الضيق المعنوي أو الحزن الشديد الذي تسبب له جراء موت ابنه والذي شغله عن تأدية سُنَّة الأضحية.

كذلك تتجلى المفارقة عبر الإضراب بـ(**غير**) في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

خَبَتْ كلُّ نارٍ غيرَ نارِ صَبَابتي سَتَبقَى وإسرافيلُ في الصُّورِ نافخُ[1]

يوضح الشاعر هنا أنَّ جميع النيران قد خبتْ، ولعله أراد أنها ستخبو في يومٍ ما باعتبار ما سيكون، ثم أردف ذلك بكلمة (**غير**) التي تفيد الإضراب مما جعل المتلقي يتوقع أنَّ هناك نارا لن تخبو، ويتبادر إلى ذهنه أنها نار جهنم . أعاذنا الله تعالى منها . فيسترسل الشاعر قائلا (**نار**) التي تتوافق مع أفق انتظار المتلقي، ثم تحدث المفارقة بإضافة قوله (**صبابتي**) إلى كلمة (**نار**) تلك الإضافة التي خالفت توقعات المتلقي، فالنار الوحيدة التي استثناها الشاعر وجعلها ما زالت متوقدة لم تكن نارا حقيقية، وإنما كانت نارا معنوية متمثلة في حرارة الحب، واشتعال لهيبه في قلبه، ثم تتصاعد المفارقة تصاعدا كبيرا؛ حيث يجعل الشاعر هذه النار باقية في قلبه بعد موته، متجاوزًا بذلك حدود الدنيا واصلا إلى نفخ إسرافيل في الصور لإعلان نهاية الحياة بأكملها، متخطيا بذلك أفق انتظار المتلقي الذي تصوَّر أنَّ هذه النار سوف تنتهي بموت الشاعر، ليفاجأه بأنها ستظل باقية بعد موته وتمتد إلى أن ينهي إسرافيل بأمر الله تعالى كل ألوان الحياة، وقد ساعدت المفارقة هنا في إيصال مشاعر الشاعر وأحاسيسه للمتلقي على أكمل وجه.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢١٨.

وثمة موضع آخر تبدو فيه المفارقة بوساطة الإضراب بـ(**غير**) في قول الحصري:

(مجزوء الرمل)

ماتَ عبادٌ ولكنْ بقيَ الفــرعُ الكريـمُ

فكأنَّ المَيتَ حيٌّ غيرَ أنَّ الضادَ ميمُ[1]

قال الشاعر هذين البيتين في موت (المعتضد)، وولاية ابنه (المعتمد)، فالشاعر هنا يرثي (المعتضد)، وفي الوقت نفسه يهنئ ابنه (المعتمد) على توليه الحكم مكان أبيه، قائلا إنه إذا كان مات الأصل فإنَّ الفرع الكريم قد بقي ليحل محله، ثم أتي بجملة (**فكأنَّ الميتَ حيٌّ**) التي تفيد التشابه التام بينه وبين أبيه، ثم أضرب بعدها بقوله (**غير**) وكان من المتوقع أن يذكر بعدها بعض أوجه الاختلاف بين الابن وأبيه، وهنا تبدو المفارقة في كون الشاعر عندما أراد أن يذكر بعض أوجه الاختلاف بين الأب وابنه لم يذكر اختلافا في الشكل أو الصفات أو الأخلاق أو شيئا مما يتوارثه الأبناء عن آبائهم، وإنما خالف توقعات المتلقي وذكر اختلافا بين حروف اسميهما؛ حيث تتوافق بينهما جميع الحروف ماعدا (الضاد) في (المعتضد) تحل محلها (الميم) في (المعتمد)، وقد ساعدت المفارقة الشاعر في مدح (المعتمد) والثناء عليه على أكمل وجه؛ حيث أكد بوساطتها على التشابه التام بين (المعتمد) وأبيه وأن الاختلاف بينهما لم يكد يتعدى الاسم فقط.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٧.

وهناك مفارقة أخرى تشكلت عبر الإضراب بـ**(لكن)** تتمثل في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

وكُنْتَ كَمِثْلِ الزَّرْعِ أخرجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ لكن أصَابَ الرَّدَى الزَّرْعَا[1]

يشبِّه الشاعر هنا ابنه بالزرع الذي أخرج شطأه فآزره، هذا التشبيه الذي يتناص مع قوله تعالى: ﴿...وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ (الفتح: ٢٩)، وهذا كناية عن بلوغه أوج ازدهاره، ونضارته، ثم يتبع ذلك بقوله **(لكن)** التي تفيد الإضراب مما يجعل المتلقي يتوقع حدوث بعض الضرر لذلك الزرع الذي بلغ كماله، كأن تصيبه الريح ببعض الأذى، أو يحدث له اصفرار أو ذبول أو يبس أو نحو ذلك، فإذا به يفاجئ المتلقي بأن الذي أصاب هذا الزرع هو الردى الذى قضى عليه دون سابق إنذار، ولا يخفى الدور الفعال الذي قامت به المفارقة هنا في تعميق فاجعة الشاعر ونقل أحاسيسه ومشاعره للمتلقي على أكمل وجه.

وهكذا وفق الشاعر في توظيف المفارقة اللفظية بنوعيها المعجمي والتركيبي، ولم يكن الأمر مقصورا على المفارقة اللفظية فحسب، بل كانت هناك أنواع أخرى استطاع الشاعر توظيفها في شعره، ومن ذلك المفارقة التصويرية، كما سيتضح في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٩٩.

المبحث الثالث: جماليات المفارقة التصويرية في شعر الحصري

وهي المفارقة التي تقوم على وسائل علم البيان، ففي هذا النوع من المفارقات يستعين الشاعر بوسائل علم البيان، كـ(الكناية، والاستعارة، والتشبيه)، لتحقيق المفارقة، وقد برز هذا النوع عند الحصري في الكثير من المواضع، التي استعان فيها بالوسائل البيانية من كناية واستعارة وتشبيه، وذلك على النحو الآتي:

أولا: "الكناية"[(١)]:

تعد الكناية من أقوى الوسائل التي يُستعان بها في تجسيد المفارقة؛ حيث تقوم على التخفِّي والتستر، مما يجعلها "تعمل على تنشيط الذهن لدى المتلقي، ومن ثم تخرجه من محيط المباشرة أو الصراحة التي يوحي بها ظاهر اللفظ الكنائي إلى المعنى العميق"[(٢)]، وقد استعان بها الحصري في تشكيل المفارقة التصويرية في بعض المواضع، ومن ذلك قوله:

(من بحر المنسرح)

أصبحتُ في الأرضِ أبتغي نَفَقا إذ كَسَدَ الفضلُ بعدما نَفَقَا[(٣)]

يصور الشاعر في هذا البيت التغير الجذري الذي حدث له بعد موت ابنه، وتبدو المفارقة هنا عبر المخالفة بين المعنى السطحي لقوله: **(أبتغي نفقا)**، و**(كسد)**، و**(نفق)** والمعنى العميق له؛ حيث تحمل هذه الألفاظ مع معناها الظاهري القريب معاني أخرى قصدها الشاعر معتمدا في استخراجها على ذكاء

---

(١) "**الكناية:** هي لفظ أريد به لازم معناه مع واز إرادة معناه حينئذ" **الإيضاح في علوم البلاغة** . الخطيب القزويني . وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٢م . ص٢٤١.

(٢) **شعر إبراهيم ناجي دراسة أسلوبية بنائية** . شريف سعد الجيار . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . د.ط . ٢٠٠٨م . ص٣٧٠.

(٣) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٤١٩.

المتلقي؛ حيث كنَّى بقوله **(أبتغي نفقا)** عن تعلق قلبه بابنه الذي دُفن تحت التراب، وكنَّى **بكساد الفضل** عن موت ابنه، وبـ**(نفق)** عن بلوغ ابنه مكانة محمودة قبل موته، وقد جسّد الشاعر بوساطة تلك المعاني الخفية معاناته وشعوره بمرارة فقد ابنه.

كما تظهر المفارقة التصويرية بوساطة الكناية في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

هَوًى قُلتُ للناهين عنهُ سأنتهي هَزِئْتُ بهم لا عنهُ، بل فيهِ أنتهي[١]

تظهر في هذا البيت قوة العاطفة وهيمنة الهوى على الشاعر بحيث أصبح مستسلما له وغير مكترث بالنصائح أو محاولات الآخرين لثنيه عنه، وتبدو المفارقة هنا عبر التضاد بين قوله **(عنه سأنتهي)**، وقوله **(فيه أنتهي)**، والأولى كناية عن قطع علاقته مع محبوبته، والثانية كناية عن شدة وصاله لها، وقد بني الشاعر المفارقة بوساطة هاتين الكنايتين، فبينما يُظهر للناهين له عن وصال محبوبته اقتناعه بكلامهم وأنه سوف ينتهي عن ذلك، إذا به يُوقع المتلقي ضحية ليفاجأه بأنه باقٍ على موقفه من وصل محبوبته، وأنَّ كلامه للناهين كان استهزاءً بهم، ولا يخفى ما قامت به المفارقة هنا من تعميق المعنى وتأكيده، فضلا عما أحدثته من الإثارة والتشويق.

كذلك تشكَّلت المفارقة التصويرية بوساطة الكناية في قول الحصري:

(من مجزوء الكامل)

يا مَـوتُ مَا أَبْقَيتَنِـي مِنْ بَعْـدِهِ إلا لِبَاسِـي

ثَوْبَ السُّرُورِ سَلَبْتَنِي وجَعَلْتَ أَحْزَانِي لِبَاسِي[٢]

يعتب الشاعر هنا على الموت الذي أبقاه بعد موت ابنه ليعيش حياة بائسة

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١١١.

(٢) **المصدر السابق** . ص٤٢٦.

حزينـة، وتتشكل المفارقـة التصـويرية هنـا عبـر مخالفـة المعنـى الظـاهري لـبعض الألفـاظ للمعنـى المقصـود؛ حيـث كنَّـى بـ **(ثـوب السـرور)** عـن حيـاة ابنـه (عبـد الغني)، وبقولـه **(سلبتني)** عن موته، وقد ساعدت هذه الكناية في تجسيد معاناة الشاعر بعد فقد ابنه.

أيضًا استعان الشاعر بالكناية لإعداد المفارقة التصويرية في قوله:

(من بحر الطويل)

فقدْتُ شُمُوسًا كنتُ أجْلُو بها الدُّجَي إلى أنْ أصَابَتْها النَوَى بكُسُوفِ(١)

تبـدو المفارقـة التصـويرية هنـا بوسـاطة التخـالف الملحـوظ بـين المعنـى الظـاهري لـبعض الألفـاظ والمعنـى الخفـي الـذي يقصـده الشـاعر، فتجـد لفـظ **(شـموس)** هنا قد فارق معناه الظاهري المعروف ليدل على معنى آخر قصده الشاعر؛ حيث كنَّى بـه عن ابنـه (عبد الغنـي)، ولا يخفى أن مجـيء اللفظ هنا مجموعا مما يدل على مكانة ذلك الابن عنده، وكذلك لفظ **(كسوف)** قد جاوز معناه المعروف ليكنِّي به الشاعر عن موت ابنه، ولا يخفى دور المفارقة هنا في تعميق الشعور بالفقد وإبراز التناقض بين النور الذي اعتاد عليه مع وجود ابنه وظلام الحياة بعد رحيله.

كما تظهر المفارقة التصويرية التي تشكلت عبر الكناية في قول الحصري:

(من بحر الرمل)

كَمْ بَصِيرٍ ضَلَّ في غيرِ الدُّجَى وَثَبُوتٍ زَلَّ في غَيـرِ الزَّلَـقْ

خَالـفَ الدَّهْرُ هَـوَاهُ فيهمـا فالحَيَا أفناهُ واستبقى الصَّعَقْ(٢)

يتحدث الشاعر هنا عن مفارقات الحياة وتقلبات الدهر التي لا تعتمد على

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٣١.

(٢) **المصدر السابق** . ص٤١٦.

الحكمة أو الحذر بل تسير وفق إرادة القدر التي قد تخالف التوقعات، وتتبني المفارقة التصويرية هنا بوساطة مخالفة المعنى الظاهري لبعض الألفاظ للمعنى المقصود، فلفظة **(الحَيَا)** تعني المطر النافع الذي يأتي بالخير، أما **(الصعق)** فهو الرعد بدون مطر، وقد انتقل اللفظان هنا من حقلهما الدلالي المعروف إلى حقل دلالي آخر؛ حيث كنَّى الشاعر بالأول منها وهو **(الحَيَا)** عن ابنه (عبد الغني)، وبالثاني وهو **(الصعق)** عن أخيه العاقّ الذي تسبَّب في موته، وقد ساعدت تلك المفارقة المبنية على الكناية في تعميق شعور الشاعر بمأساته، وإظهار معاناته؛ حيث مات ابنه البار وبقي الابن العاق.

أيضا تتجلى المفارقة التصويرية المبنية على الكناية في قول الحصري:

(من بحر الخبب)

قدْ مَلَّ مَرِيضَكَ عُوَّدُهُ ورَثَى لأسِيرِكَ حُسَّدُهُ[١]

تشكلت المفارقة التصويرية هنا عبر الكناية التي انبنت من مجاوزة المعنى السطحي للبيت السابق لمعناه العميق، ففي الحقيقة ليس هناك مريض عاده الناس حتى ملوا من عيادته لطول مرضه، ولا أسير وصل حاله إلى درجة كبيرة من البؤس والشقاء مما جعل حُسَّاده ومن يتمنون زوال نعمته يرِقُّون ويرأفون لحاله، وإنما هو كناية عن شدة تعلق القلوب بتلك المحبوبة التي يتغزل فيها الشاعر وشدة جفائها لعشاقها، وقد صور بوساطة تلك المفارقة شدة تعلق قلبه بمحبوبته رغم يأسه من وصالها.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٥٠.

كما تتجلى المفارقة التصويرية عبر الكناية في قول الحصري:

(من البحر البسيط)

أبدلتَ يا عِيدُ عَيني حَامَ من سامِ ففاضَ جَفْنِي بما أفْضَى إلى يَامِ[1]

يرسم الشاعر هنا صورة مأساوية لحالته النفسية في العيد؛ إذ لم يكن وقتا للفرح والسرور كما هو مألوف بل صار وقتا لاستعادة الأحزان والآلام مما يعكس حجم الحزن الذي يعيشه، وتتجلى المفارقة التصويرية هنا عبر التباين بين المعنى الظاهري لبعض الألفاظ، والمعنى الكامن خلفها والذي قصده الشاعر؛ حيث ذكر في هذا البيت ثلاثة من أبناء سيدنا نوح . عليه السلام . وهم **(حام، وسام، ويام)**، و"**يام:** ولد نوح الذي غرق بالطوفان، **وحام وسام:** ابنا نوح، أولهما جد الجنس الأسود، والثاني جد الجنس السامي"[2]، بيد أن الشاعر هنا قد تجاوز معناها المعروف إلى معان أخرى أرادها، فكنَّى بـ**(حام)** عن سواد العين، وبـ**(سام)** عن بياضها، كما كنَّى بقوله **(ما أفضى إلى يام)** عن الطوفان الذي أغرق **(يام)** ابن سيدنا نوح . عليه السلام . وإبدال سواد العين من بياضها فيه إشارة إلى شدة الحزن وكثرة البكاء الذي ينتج عنه ذهاب البصر، كما وصف ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ **(يوسف: ٨٤)**، ومن المعروف أن يوم العيد هو يوم فرح وسرور وبهجة، إلا أن العيد هنا قد جاء على الشاعر بشكل مختلف؛ حيث توفي فيه ابنه (عبد الغني) مما جعله ينهمر بالبكاء الشديد الذي شبَّهه الشاعر بالطوفان الذي أهلك (يام) ابن سيدنا نوح عليه السلام، وقد ساعدت المفارقة هنا على تعميق الشعور بمعاناة الشاعر، كما لا يخفى ما

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٦٥.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٦٥ في الهامش.

أظهرته المفارقة هنا من سعة ثقافة الشاعر فضلا عن مقدرته الفنية العالية.

وثمة موضع آخر تبدو فيه المفارقة البلاغية التي تشكلت بوساطة الكناية في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

أبـــي نَيِّرُ الأيـامِ بَعْـــدَكَ أَظْلَمَـــا وبُنيانُ مَجْدِي يَومَ مِتَّ تَهَدَّمَا

وَجِسْمِي الذي أَبْلاهُ فَقْدُكَ إِنْ أَكُنْ رَحَلْتُ بِهِ فالقلبُ عِنْدَكَ خَيَّمَا(١)

يقف الشاعر هنا على قبر أبيه الكائن في مدينة القيروان مودعا له قبل رحيله مرغما عنها بعد نكبتها موضحا كيف تبدَّل صفو حياته إلى كدر بعد موت أبيه، وتتبني المفارقة البلاغية هنا عبر الكناية التي تشكَّلت بوساطة الثنائيات الضدية بين قوله: **(نيِّر)**، و**(أظلما)**، وقوله **(بُنيان)**، و**(تهدَّما)**، وكذلك قوله **(رحلتُ)**، و**(خيَّما)** تلك الألفاظ التي تحمل تناقضا ظاهريا مما يحتاج إلى وقفة من المتلقي للتوفيق بينها، والناظر إلى لفظي: **(نيِّر)**، و**(أظلما)**، يجد أنهما يحملان معنيين أكثر عمقا من معناهما السطحي؛ حيث كنَّى بهما عن السعادة والحزن، فالأيام السعيدة الذي عاشها الشاعر هانئا في ظل أبيه قد انتهت وأضحى يخيم عليها الحزن من بعده، كما أن لفظي **(بُنيان)**، و**(تهدَّما)**، قد تخطيا معناهما الحقيقي إلى معنى آخر هو الاعتزاز بالشيء وامتهانه، فالمجد الذي وصل إليه الشاعر في حياة أبيه وكان مصدر اعتزازه أصبح لا قيمة له بعد وفاة أبيه، أما قوله **(خيَّما)** فهو كناية عن شدة تعلق القلب بالمكان، وهنا يلفت الشاعر انتباه المتلقي إلى بعض الأمور التي أراد تسليط الضوء عليها عبر تلك المفارقات التي بنيت على الكناية؛ حيث وضح أن عيش الإنسان هانئا وسط أناس يحبهم ويحبونه هو النور الحقيقي الذي يستطيع التنقل والسير في الحياة

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٩.

على هداه حتى وإن كان هذا الإنسان ضريرا، كما أن ما قد يحققه الإنسان من إنجازات أو يصل إليه من مكانة مرموقة أو غير ذلك، جميع تلك الأشياء ربما تفقد قيمتها إذا لم تتحقق في ظل أناس يحبهم ويحبونه، كذلك وضح الشاعر أن الرحيل الحقيقي ليس رحيل الجسد، وإنما هو رحيل القلب.

وهكذا يتضح كيف وفق الشاعر في تجسيد المفارقة بوساطة الكناية التي أخرجت الكلام من المباشرة إلى التلميح مما كان له أثره في إثارة ذهن المتلقي، علاوة على تأكيد المعنى وتثبيته في النفس.

ثانيا: "الاستعارة"[١]:

تعد الاستعارة أحد المجالات الخصبة التي يُستعان بها لتحقيق المفارقة؛ حيث إنها "خرق لقانون اللغة...وهي انزياح استبدالي"[٢]، فهي بمثابة تحول ذهني للمتلقي واستبعاد للمعنى الظاهري للفظ والبحث في أعماقه عن المعنى المراد، "وغاية ما يطمح إليه الشعر هو أن يقارن بين شيئين متباعدين في خصائصهما وصفاتهما إلى أبعد حد، أو أن يجمع بينهما بأية طريقة كانت على نحو فجائي ومثير للدهشة"[٣]، وهذا هو لبُّ المفارقة وجوهرها، وقد استعان الحصري

---

(١) "**الاستعارة** في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية" **أسرار البلاغة** . عبد القاهر الجرجاني . تعليق: محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة . دار المدني . جدة . د.ط . د.ت . ص٣٠.

(٢) **بنية اللغة الشعرية** . جان كوهن . ترجمة: محمد الولي ، محمد العمري . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٨٦م . ص١٠٩، وما بعدها.

(٣) **فلسفة البلاغة** . ريتشاردز . ترجمة: سعيد الغانمي ، ناصر حلاوي . أفريقيا الشرق . المغرب . د.ط . ٢٠٠٢م . ص١١٩.

بالاستعارة في بعض المواضع لتشكيل المفارقة بوساطتها، ومن ذلك قوله:

(من بحرالبسيط)

وكنـتُ في جنـةٍ حُفَّتْ جَوَانِبِهَـا بالـزرعِ والنخلِ والأعنابِ والتوتِ

فأصبحتُ يومَ أودى وهي خاويةٌ جرداءُ من كلِّ مَغْرُوسٍ ومَحْرُوثِ[١]

يحمل البيتان السابقان صورة مؤلمة للحزن والفراغ اللذين حلَّا بالشاعر إثر فقدان ابنه، وتبدو المفارقة هنا عبر المقابلة بين صورتين متناقضتين وقد بُنيت تلك المفارقة بوساطة الاستعارة التصريحية، والتي تتجلى بين قوله **(جنـةٍ حُفَّتْ جوانِبِها بـالزرعِ...)**، وقوله **(خاويـةٌ جـرداءُ مـن كـل...)**؛ حيث تجاوز المعنى الظاهري لهذه الألفاظ معناها المقصود، فقد صوّر الشاعر عبر استعارته لهذه الألفاظ عيشه مع ابنه الذي اتصف بمختلف الصفات الحميدة، بعيشه في الجنة التي حُفَّت بالزرع والنخيل ومختلف الفواكه، كما صور موت ابنه ومفارقته له بخواء تلك الجنة من كل مغروس ومحروث وتحويلها إلى صحراء قاحلة بفعل الألم والحزن، ولا يخفى جمال المفارقة المبنية على الاستعارة هنا؛ حيث جمع الشاعر فيها بين أمرين متباعدين وهما الأخلاق الحميدة في الدنيا، وثمار الجنة، وقد وفَّق بينهما بصورة تثير دهشة المتلقي وتجذب انتباهه.

كما تجلت المفارقة التصويرية بوساطة الاستعارة في قوله الحصري:

(من مجزوء الوافر)

تَرَفَّـقْ يا سِقَـــامُ بِـــهِ أبَعْدَ المُسْتـوِي عِوَجُ

صَدَعْتَ بما أُمِرْتَ ومـا عليكَ مع القَضَا حَرَجُ[٢]

تتجسد المفارقة هنا عبر التضاد بين لفظي **(ترفـقْ)**، و**(صـدعتَ)** هذا

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٨٩.

(٢) **المصدر السابق** . ص٢٩٧.

التضاد الذي بُني على الاستعارة المكنية؛ حيث صوّر الشاعر المرض في صورة إنسان وأخذ يناديه ويتوسل إليه أن يترفق بابنه، مما جعل المتلقي يشعر ببارقة الأمل التي تراود الشاعر في شفاء ابنه، ليباغت الشاعر المتلقي بعدها، ويكسر توقعاته بقوله **(صدعتَ بما أمرتَ)** التي استعارها لتنفيذ القضاء لموت ابنه، ليقضي على هذا الأمل المنشود ويمحوه تماما، وفيه إشارة إلى التسليم والإيمان بقضاء الله تعالى، ولا يخفى التأثر الواضح بين هذه الجملة وبين قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ (الحجر: ٩٤)، هذا التأثر الذي زاد من جمالية المفارقة هنا.

وثمة موضع آخر برزت فيه المفارقة التصويرية المبنية على الاستعارة، وهو قول الشاعر:

(من مجزوء الوافر)

وكيف أكنُّ حَسْرتَـــهُ وهذا الدمـعُ أعْلَنَها

إذا وَشَتْ المَدَامِعُ لمْ يكفّ الحِلمُ ألسُنَهـا[1]

تتمثل في البيتين السابقين مفارقتان تشكَّلت كل واحدة منهما بوساطة الاستعارة، فتنبني المفارقة الأولى عبر التضاد بين لفظي **(أكنُّ)**، و**(أعلنها)**، هذا التضاد التي بُني على الاستعارة المكنية؛ حيث صوَّر الدمع في صورة إنسان بإمكانه أن يعلن ما خفى من الأمور، أما المفارقة الثانية فتبدو عبر التضاد بين **(وشتْ)**، و**(يكف)**، فالوشاية هي إطلاق اللسان بالسوء كالنميمة والغيبة ونحو ذلك، وعكسها كفّ اللسان وهو حفظه عن أذى الغير، وقد بُني هذا التضاد على الاستعارة المكنية أيضا؛ حيث صوَّر إطلاق الدمع في صورة إنسان يطلق لسانه بين الناس بالنميمة والغيبة، كما صوَّر الحِلم وهو التريُّث وضبط النفس . وهو أمر معنوي . في صورة إنسان هادئ الطبع لم يستطع كفّ لسان الواشي، وقد

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٢، وما بعدها.

أفصح بوساطة هاتين الاستعارتين عن استسلامه التام للحزن وإطلاق الدمع الغزير، وعدم قدرته على إخفائه.

يتضح مما سبق الدور الفعال الذي قامت به الاستعارة في تحقيق المفارقة عبر الجمع بين الأشياء المتباعدة في صورة طريفة، جذابة، ومثيرة للدهشة.

ثالثا: "التشبيه"[١]:

للتشبيه دور فعال في تجسيد المفارقة، وكلما تباعد طرفا التشبيه كان ذلك أقوى في تجسيد المفارقة، فـ"التشبيه قادر على تجسيد المفارقة وإظهارها بصورة تخيلية تباغت المتلقي من حيث لا يترقب، بإيجادها علاقة غير معهودة، وقيمة هذه العلاقة تتأتى من الربط غير الملتفت إليه من قبل، إذ إنَّ اللمحة الفنية تؤسسها اللفتة الجمالية التي يقتنصها الشاعر وتبنيها براعته في تشكيل تلك اللفتة"[٢]، وتتجلى المفارقة التصويرية لدى الحصري بوساطة التشبيه في بعض المواضع، ومنها التشبيه المقلوب في قوله:

(من بحر البسيط)

إلَّا تكُنْ في رُباها رَوضَةٌ أُنُـفٌ فإنما أوجُهُ الأحْبَابِ رَوْضاتُ

أو لا يَكُنْ نَهرٌ عذبٌ يَسِيلُ بها فإنَّ أنهارهَا أيـــدٍ كريمـاتُ[٣]

الشاعر هنا يندب وطنه القيروان بعد النكبة التي حلَّت به، مؤكدا على شدة حبه له وتعلقه به، رغم غياب الروضات الأنف به؛ حيث حلَّ محلها أوجه الأحباب، وكذلك مع غياب نهرها العذب، مؤكدا على وجود أنهار حقيقية بها

(١) "**التشبيه** هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى" **الإيضاح في علوم البلاغة** . ص١٦٤.

(٢) **المفارقة في شعر الرواد** . قيس حمزة الخفاجي . دار الأرقم للطباعة والنشر . بابل . العراق . ط١ . ٢٠٠٧م . ص٢٨٩.

(٣) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٦.

تتمثل في الأيد الكريمات التي تمتد بالعطاء، وتبدو المفارقة عبر ذلك التشبيه المقلوب؛ حيث كان الأصل أن يشبِّه الأيد الكريمات بالأنهار، فخالف الشاعر توقعات المتلقي وشبَّه الأنهار بالأيد الكريمات، مما كان هـ وقعه الفعال في نفس المتلقي.

كما تشكلت المفارقة التصويرية بوساطة التشبيه في قول الحصري:

(من بحر الكامل)

كم من خليلٍ كان عندي شهدَةً حتى بلوتُ المرَّ من أخلاقِهِ

كالملحِ يُحسبُ سُكرًا في لونــهِ أو حجمهِ ويَحولُ عند مذاقِهِ[1]

يعبر الشاعر في هذين البيتين عن خيبة أمله في معظم أصدقائه الذين كانوا يظهرون له الإخلاص والوفاء بيد أنه لم يلبث أن اكتشف حقيقتهم بعد طول معاشرته لهم، وقد بنى الشاعر المفارقة هنا عبر التشبيه الطريف الذي عقده بين أخلاق أصدقائه وطعم الملح؛ حيث شبَّه انخداعه في أخلاق أصدقائه، بالملح الذي خدع الناظر إليه فحسبه سُكَّرا، فلما ذاقه تبينت له حقيقته، وقد عقد الشاعر التشبيه هنا بوساطة التشابه التام بين لون الملح والسكر، وكذلك حجمهما، رغم الاختلاف التام في طعمهما، ولا يخفى ما تحمله المفارقة في طياتها من التحذير من الانخداع بالمظاهر.

كذلك تجلت المفارقة التصويرية المبنية على التشبيه في قوله الحصري:

(من بحر المنسرح)

حُسَامُ عَيْنَيكَ من فُتُورِهِمَا كـأنــه مُغْمَــدٌ ومَسْلُــولُ

اغمدْ وسُلْ ليس لـي وزرٌ أنا على الحالتين مقتولُ[2]

تشكلت المفارقة هنا عبر التشبيه الذي عقده الشاعر في البيت الأول بين فتور عيني المحبوبة وبين السيف المُغمد المسلول، وهي صورة تجمع بين

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣٣.

(٢) **المصدر السابق** . ص١١٤.

المتضادين وهو كون السيف مغمدا وفي الوقت نفسه مسلولا خارج غمده، مُجسِّدا بوساطة ذلك صورة السيف أثناء خروجه ببطء من غمده، فيكون جزء منه داخله والجزء الآخر خارجه ليصور عبر تلك الصورة حالة فتور العينين الذي يُعدُّ نوعا من الدلال، ولا يخفى الدور الجمالي لتلك المفارقة التشبيهية القائمة على التضاد هنا؛ حيث أفصح الشاعر عبرها عن شدة دهاء تلك المرأة التي لا تصارح بفتح عينيها ظنا منها أن هذا الأمر سوف يُطمع المحبوب في التقرب منها ويقلل من خوفه على نفسه من أن تصيبه سهام عينيها، فيجيبها بأنه قد قتله الهوى على الحالتين.

وثمة موضع آخر تجسدت فيه المفارقة التصويرية المبنية على التشبيه، وهو قوله:

(من بحر الوافر)

ألا يا أهلَ أندلسٍ فطنتُم ... بلطفِكُم إلى شيءٍ عجيبِ
لبستم في مآتِمِكم بياضًا ... وجئتم منه في زيٍّ غريبِ
صدقتم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ... ولا حزنٌ أشدُ من المَشِيبِ[1]

تبدو المفارقة التصويرية هنا عبر التشبيه الضمني الذي ربط فيه الشاعر بين لون ثياب الحزن عند أهل الأندلس، وبين لون المشيب، فالمعتاد في لون ثياب الحزن في بلاد المشرق هو اللون الأسود، بيد أنَّ أهل الأندلس قد خالفوا هذه العادة، فجعلوا لون ثياب الحزن عندهم هو اللون الأبيض، وقد استحسن الشاعر منهم هذا الفعل رغم كونه من أبناء المشرق، مفاجئا المتلقي بهذا التشبيه الضمني الطريف الذي جمع فيه بين لون ثياب الحزن عند أهل الأندلس ولون المشيب، جاعلا السبب في استحسانه للون الأبيض كلونٍ لثياب الحزن هو وجه

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣١.

الشبه بينه وبين لون المشيب الذي هو من أكبر أسباب الحزن لدى الإنسان.

وعلى ضوء ما سبق يتبين كيف أجاد الشاعر في تحقيق المفارقة التصويرية بوساطة الاستعانة بوسائل علم البيان من كناية واستعارة وتشبيه مما أضفى على شعره رونقا وجمالا، فضلا عن وقعه الفعال في نفس المتلقي، وتنشيط ذهنه.

والمتدبر لشعر الحصري يجد أنواعا أخرى من المفارقات قد ظهرت عنده بكل وضوح، ومنها المفارقة الإيقاعية التي سيتناولها المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الرابع: تجليات المفارقة الإيقاعية في شعر الحُصري

لا شك أن الإيقاع له تأثير كبير في إيصال مشاعر وأحاسيس الشاعر، وإبراز حالته النفسية، فلم يقتصر دوره على الجانب الجمالي فحسب، بل كان له دور فعال في إيصال غرض الشاعر للمتلقي على أكمل وجه، وتتعدد تلك المفارقة الإيقاعية بين اختيار الأصوات، وإيثار بعضها على بعض، أو إيثار بعض الحركات على غيرها، وكذلك السكنات، فحروف الهمس مثلا أكثر مناسبة لحالات الحزن والأسى؛ حيث تعكس حالة الضعف التي يكون عليها الإنسان آنذاك، بخلاف حروف الجهر التي تناسب حالات الفخر والعُجب والاعتزاز بالنفس ونحو ذلك مما يعكس حالة القوة التي تكون عليها النفس في تلك الحالات، ولا يقل دور الحركات والسكنات عن دور الأصوات في نقل المشاعر والأحاسيس، فمثلا حركة الكسرة تكون أنسب للأغراض الحزينة كالرثاء ونحوه، أما حركة الفتحة فأكثر ملاءمة للمدح والفخر ونحوهما من حالات التفخيم والاعتزاز بالنفس أو الغير وهكذا، فإذا خالف الشاعر ذلك بأن أتى بحروف مجهورة مع حالات انكسار النفس أو أتى بحروف مهموسة مع حالات الفخر والاعتزاز بالنفس ونحو ذلك، فإنه يكون قد أحدث مفارقة إيقاعية تثير دهشة المتلقي وتكسر أفق توقعاته، والأمر نفسه يحدث إذا أتى بحركة الرويّ مكسورة في حالات قوة النفس، أو عكس ذلك مما يجعل المتلقي يسبر أغوار النص ويتعمق في ألفاظه ومعانيه للوصول إلى مراد الشاعر من تلك المفارقة، ولا يخفى ما يحمله ذلك من المتعة والإثارة والتشويق تلك الأشياء التي ينبني عليها الشعر في المقام الأول، والمتأمل في شعر الحصري يجد الكثير من المفارقات الإيقاعية التي تثير الدهشة وتحدث الإثارة والتشويق.

أولا: مفارقة "حرف الرويّ"[١]:

لا شك أن حرف الرويّ هو أقوى حرف في القصيدة ولذلك نُسبت إليه، لذا فإن اختيار حرف الرويّ يحمل الكثير من المعاني التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقي، بيد أن المتدبر لبعض قصائد الحصري يجد حرف الرويّ جاء مخالفا لما تحمله القصيدة من مشاعر وأحاسيس مما يُحدث مفارقة إيقاعية تلفت انتباه المتلقي، وتتطلب منه كدّ الذهن وإعمال العقل للوصول إلى هدف الشاعر وراء ذلك مما يحقق الإثارة والمتعة، ومن ذلك قول الحصري:

(من بحر الوافر)

تُمِرُّ لأهلِها الدُّنيا وتُحْلِي ... وتُحدِثُ في سَوَادِهِمُ البَيَاضَا
فكمْ قومٍ رأيتُ البؤسَ فيهم ... وكنتُ أرَى لهم نعمًا عِراضَا
وحينَ غدوتُ زُرْتُهُمُ صِحاحًا ... فلما رُحْتُ عُدتهُأمُ مِراضَا
فقل ما أكدرَ الدنيا حَيَاةً ... وأسْرعَها إذا صَأفَتِ انقراضَا
وأسلمُ أهلِها مِنها فريدٌ ... إذا انبسطتْ له ازدادَ انقِباضَا
أسَرَّ اليومَ موتُ ابني عَدُوًّا ... غدًا يقضِي الغريمُ إذا تَقَاضَى
كأنَّ الموتَ في الدنيا حديثٌ ... لقد نَسِيَ الحَدِيثَ المُسْتَفَاضَا
عَسَى عبدُ الغنيِّ يكونُ ذُخْرِي ... فيسقِيني إذا وَرَدَ الحِياضَا
ويخْفِضَ لي هناكَ جناحَ عِزٍّ ... عهِدتُ له من الرحِمِ انخِفاضَا
فتُغْفَرَ في شفاعتِهِ ذُنُوبي ... وأسْكُنُ راضِيًا معهُ الرياضَا [٢]

---

(١) "وهو النغمة التي تنتهي بها البيت، ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة، وموقعه آخر القصيدة، وإليه تنسب القصيدة، فيقال: قصيدة لامية أو ميمية، أو نونية، إن كان حرفها الأخير لاما، أو ميما، أو نونا" **المرشد الوافي في العروض والقوافي** . محمد بن حسن بن عثمان . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م . ص١٥٧.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٩٣، وما بعدها.

جاءت هذه الأبيات ضمن قصيدة يرثي فيها الشاعر ابنه (عبد الغني) وهو في هذه الأبيات يُعزِّي نفسه ويحاول أن يخفف من وطأة الحزن والأسى التي يمر بها موضحا أن دوام الحال من المحال وأن عادة الدنيا وديدنها أنها متقلبة لا تُبقي على سرور ولا حزن وأن طبيعتها الغدر والأصل فيها الكدر أما الصفو فسريع الزوال، وإن كان موت ابنه قد أسرَّ أعداءه اليوم، فإن الدوائر ستدور عليهم غدا ويُسَرُّ هو في إساءتهم، بل إنه يجد في صبره على ما ألمَّ به من حدث جلل زُخرا له في غده؛ حيث إنه يرجو أن يشفع له ابنه فيغفر الله له ذنوبه بصبره ورضائه بقضاء الله . سبحانه وتعالى . ويخلد مع ابنه في جنان الخلد، والملاحظ أن الشاعر هنا قد انتقى لرويِّ قصيدته حرفا من الحروف المجهورة وهو (الضاد) رغم ما تفيض به الأبيات من الحزن والأسى واللوعة على فراق ابنه، فكانت حروف الهمس هي الأكثر مناسبة لتلك الحالة، مما خلق مفارقة إيقاعية أثارت دهشة المتلقي فأخذ يسعى جاهدا للتوفيق بين هذا الصوت القوي وحالة الضعف والانكسار التي يعيشها الشاعر وصولا إلى مراد الشاعر وراء اختياره لهذا الصوت، ولعله أراد من ذلك إظهار قوة إيمانه وصبره على قضاء الله عز وجل، ومن الجدير بالذكر أن اختيار الشاعر لحركة الروي هنا وهي الفتحة بدلا من الكسرة التي كانت أنسب لمشاعر الحزن كان له دلالة عميقة أيضا؛ حيث جسَّدت سمو الشاعر بنفسه وارتفاعه بها على الأحزان، وهكذا يتبين الدور الفعال للمفارقة الإيقاعية في إيصال المعنى للمتلقي على أكمل وجه فضلا عن الإثارة والمتعة.

ومن المواضع أيضا التي تجلت فيها المفارقة الإيقاعية المبنية على مخالفة حرف الروي لتوقعات المتلقي قول الحصري:

(من بحر الطويل)

برِمتُ بما ألقــاهُ ممَّـــــنْ أُوَامِــقُ وأوذِيتُ حتى لا أرى مَنْ أُصادِقُ[1]

إذا ما امرؤ أصفيته الـــــودَّ واثقًــا بِخُلَّته لم تصـــفُ منــه الخلائِـقُ

فيا ليتَ شِعْري هل إلى الناسِ كلِّهِمْ أنا مذنبٌ أم ليسَ فيهـــم مُوافـقُ

فلا أنا مسرورٌ بمن هـــو واصِلــي حِذَارًا ولا آسِي على مـــن أُفـارقُ

وَدِدْتُ بأن ألقىَ من الناسِ مُنصِفًــا إذا قلتُ حقًا قال لي أنــتَ صَـادقُ

وإنْ قلتُ غيرَ الحقِ لم يرضَ لي بِهِ وأوْضَحَ للفِكـرِ الذي هـــو لائــقُ

ولكنهــم صنفـــــانُ فِيٌّ فجاهــلٌ يُدافـعُ حقًـــا أو عَليـمٌ مُنافِـقُ[2]

يعاتب الشاعر في هذه الأبيات بعض أحبابه لما لقي منهم من سوء أخلاق وعموم كذب ونفاق، ويظهر رغبته في أن يجد بين الناس من يكون عادلا ومنصفا له، ويطالب بالصدق والنزاهة في التعامل واحترام الفكر السليم وعدم تقبل الباطل أو السكوت عنه، وكان من المتوقع أن يختار الشاعر لرويِّه حرفا مهموسا يتناسب مع عتاب الأحبة الذي يحمل من الرقة أكثر مما يحمل من التعنيف، كما يتناسب مع حالة الحزن وخيبة الأمل التي يعيشها الشاعر جرَّاء صدمته في الكثير من أحبابه، بيد أنَّ الشاعر هنا قد اختار لقصيدته حرف (القاف) وهو من الحروف الشديدة المجهورة، مما أحدث مفارقة إيقاعية أثارت دهشة المتلقي، فأخذ يسعى جاهدا لمعرفة السبب وراء انتقائه ذلك الحرف، ولعله أراد أن يُظهر بوساطته قوة شخصيته وثباته على الصدق والخلو من النفاق رغم غلبة تلك الصفات على معظم الناس من حوله.

(١) "**معنى أوامق:** أحب" ينظر **القاموس الوسيط** . مادة (ومق) . ص١٠٥٨.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣٤.

ثانيا: مفارقة حركة الروي:

لا شك أن حركة الرويّ تحمل من الأهمية ما لا يقل عن أهمية حرف الروي نفسه؛ حيث تطوي الحركات من المعاني ما تطويه الحروف نفسها، وقد تنبَّه الشعراء لذلك فاختاروا من الحركات ما يتناسب مع أغراضهم، بحيث إذا اختار الشاعر حركة لرويِّه غير متناسبة مع غرضه فإنه يكون قد أحدث مفارقة إيقاعية تحمل الكثير من المعاني التي قصدها الشاعر، مما يجبر المتلقي على الغوص في ثنايا النص لمعرفة الهدف وراء ذلك، والمتدبر لشعر الحصري يجده قد عمد إلى إحداث بعض المفارقات الإيقاعية المبنية على اختيار حركة لرويِّه مخالفة للغرض وتوقعات المتلقي، ومن ذلك قوله:

(من بحر الوافر)

وقالوا قدْ عَمِيتَ فقلتُ كَـلَّا فإني اليوم أبْصَرُ من بَصِيرِ

سَوَادُ العَينِ زادَ سَوَادَ قلبي ليجتمِعَا على فَهْمِ الأمُـورِ[1]

يكشف البيتان السابقان عن مدى اعتزاز الشاعر بنفسه رغم ما حلَّ به من عاهة العمى التي كان من المتوقع أن تفقده الثقة بنفسه، بيد أن الشاعر هنا يفصح أنه أفضل من المبصرين مُبرِّرا ذلك بأن الله . تعالى . قد حباه بنور البصيرة الذي أعاضه عن نور بصره وقد استطاع أن يدرك به ما يعجز المبصرون عن إدراكه، وكان من المنتظر أن يختار الشاعر لرويِّه حركة تتناسب مع ما تحمله طبيعة البيتين من الثقة والاعتزاز بالنفس كالفتحة مثلا، إلا أن المتلقي قد تفاجأ بمجيء الروي مكسورا مما أثار الدهشة، ويبدو أن هذا القول من الشاعر كان بمثابة حيلة دفاعية يحاول بها تعويض نقصه، بيد أنه في الحقيقة يعيش حالة من الانكسار والحزن جرَّاء فقدان بصره، تلك الحالة التي حاول أن

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣٥.

يخفيها بكلماته فأفصحت عنها تلك الكسرة.

أيضا من المواضع التي تتجلى فيها المفارقة الإيقاعية المبنية على مخالفة حركة الرويِّ لما يتناسب مع الغرض وتوقعات المتلقي، قول الحصري[١]:

(من بحر الطويل)

جَوًى تتلظَّـى نارُه فـــي جَوانِحـي ... فكيفَ ينامُ الليلَ حَـرَّانُ مُنْضَـــجُ

جفاهُ الكَرى والطيْفُ قد واصلَ البُكا ... فحتَّـى متـى يَبكِـي ولا يَتَفَـــرَّجُ

جَرَى القدرُ الجاري عليـــهِ بفرقـةٍ ... فليسَ له من داخلِ الهـمِّ مَـخْـرجُ

جَلِيدٌ على الكتمانِ لو لمْ تَبُـحْ بـه ... دمـوعٌ على خَدَّيهِ بالـــدمِ تُمْـزَجُ

جعلتُ أُمَحَّـي ما كتبـتُ بعبْرَتِـي ... وكِـدْتُ لسُقْمِـي فـي كتابـي أُدْرَجُ[٢]

جوابًا لعلَّ الكَتْـبَ يُطفـئُ لاعِجًـا ... على كبدٍ مـن ذِكْرِكـمْ تَتَـوَهَّـجُ[٣]

جَزَى اللهُ من أدَّى رسالـةَ عاشـقٍ ... وحَسَّنَ أعذارًا من البيـنِ تَسْمُـجُ[٤]

جَمِيلا فما فِعْـلُ الجميـلِ بضائـعٍ ... ولا سيَّما في الصبِّ والصـبُّ أحْوَجُ

جنيتُ على نفسي الهـوى فقتلتُهـا ... وحِبِّي بريءٌ من دَمِـي مُتحـرِّجُ

جلاءُ هُمُومي طيفكُمْ يُوضِحُ الدُّجَـى ... وإلا فأنفـاسُ الصِّبَـــا تَتَـــأرَّجُ

يتحدث الشاعر هنا عن فراق محبوبته وعذابات نفسه التي يعيشها على إثر تلك الفراق؛ حيث جفاه النوم ولازمه البكاء، ثم هو لا يلوم على محبوبته أي شيء، وإنما يقصر اللوم عليه وحده، فهو من جنى الهوى على نفسه، أما محبوبته فبراء من أي ذنب، ثم يوضح أن طيفها هو الشيء الوحيد الذي يجلو

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢١٦.

(٢) "معنى **أُدْرِج**: أُدْخِل" ينظر **القاموس الوسيط** . مادة (درج) . ص٢٧٧.

(٣) "لعج الضرب فلانا: آلمه وأحرقه جلده، ولعج الحب والشوق فؤاده: استحرَّ فيه، ولاعجه الأمر: اشتد عليه وأقلقه." ينظر **القاموس الوسيط** . مادة (لعج) . ص٨٢٨.

(٤) "سمج: قبيح " ينظر **القاموس الوسيط** . مادة (سمج) . ص٤٤٧.

همومه وأحزانه، وكان من المتوقع أن يختار الشاعر لرويِّه حركة الكسرة التي تتناسب مع ما تحمله القصيدة من معاني الذل والانكسار في الهوى، بيد أن الشاعر قد أحدث مفاجأة للمتلقي بإيثاره حركة الضمة ليشكِّل بذلك مفارقة نغمية تثير دهشة المتلقي، مما جعله يحاول جاهدا معرفة السبب وراء اختيار تلك الحركة، ويبدو أن السبب في إيثار الشاعر حركة الضمة على الكسرة هو افتقاده للعطف والحنان واشتياقه لضم المحبوبة، وكأني به يصرح من شدة ألمه أو شدة شوقه لهذا اللقاء.

كذلك من المواضع التي تتجلى فيها المفارقة الإيقاعية المبنية على مخالفة حركة الرويِّ لما يتناسب مع توقعات المتلقي، قول الحصري:

(من مجزوء الرجز)

يا روضَتِي ذَاتَ الحَيَا ما كان أزْهَى زَهَـرَكْ
يا دُرَّتي ما سَرَّنِي النـ ـاظِـمُ حتـى نَثَـرَكْ
طَوَاكَ في رِدَائِـهِ الـرَّ دَى ونَشْـرٌ نَشَـرَكْ
ويْـحَ المَنَايَـا أثْكَلَـتْ كِـرَامَ فِهْـرٍ نَفَـرَكْ
فالمَجْـدُ يبكِـي قائـلا شُلَّـتْ يَدَا مَنْ قَبَـرَكْ[١]

يرثي الشاعر في تلك الأبيات ابنه وفلذة كبده (عبد الغني) ويبكيه بكاء مريرا فهو يعيش في حزن عميق إثر فقده لابنه، ومن شأن الإنسان الذي يعيش في تلك الحالة أن يحاول التنفيس عن نفسه باختيار قافية مطلقة تحمل رويًّا متحركا مردوفا بحرف مد يستطيع أن ينفِّس عن نفسه الحزن عبره، إلا أنَّ الشاعر قد خالف توقعات المتلقي وأتى بقافية مقيدة لا مجال فيها للتنفيس مما أحدث مفارقة إيقاعية جعلت المتلقي في حيرة من أمره يحاول أن يجد تفسيرا لهذا

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٢٩.

الفعل، ولعله مما دعا الشاعر لإيثار سكون الرويِّ هو تصوير حالة السكون والاستسلام التي حلَّت به جرَّاء فقده لولده مما جعله يفقد قواه ولا يقوى على أي حراك وكأنه لا يقوى حتى على مد صوته للتنفيس عن حزنه، ولا شك أن القافية المقيدة تعطي إيحاء بكتم الأنفاس مما يعكس حالة الضيق النفسي التي يعيشها الشاعر، فهو يعرف أنه ليس هناك من سبيل لتنفيس أحزانه، وإنما أراد فقط إظهار شدة حزنه وعميق ألمه.

كما يبدو موضع آخر ظهرت فيه المفارقة الإيقاعية التي تشكلت عن مفارقة حركة الروي لما هو متوقع، وذلك في قول الشاعر:

(من بحر البسيط)

موتُ الكرامِ حياةٌ في مواطِنِهِمْ فإنْ هُمُ اغْتربُوا ماتُوا وما ماتُوا
يا أهلَ وِدِّي لا واللهِ ما انتكثتْ عندي عهودٌ ولا ضاقتْ مَوَدَّاتُ
لئن بعدتُمْ وحَالَ البحرُ دونَكُمُ لَبَيْنَ أرواحِنا في النومِ زَوْرَاتُ
ما نمتُ إلا لكي ألقَى خيالكُمُ وأينَ مِنْ نازحِ الأوطانِ نَوْمَاتُ
إذا اعْتَلَلْنا تَعَلَّلْنا بذكرِكُمُ لو أحسنتْ بُرْءَ عِلَّاتٍ تَعِلَّاتُ
ماذا على الريحِ لو أهدتْ تحيتَهَا إليكُمُ مِثْلَ ما تُهْدى التحيَّاتُ
أصْبَحْتُ في غُربتي لولا مُكَاتَمَتِي بَكَتْنِيَ الأرضُ فيها السمَاواتُ[1]

يرثي الشاعر في تلك الأبيات وطنه (القيروان) موضحا ما يحمله من مكانة عظيمة في قلبه، جاعلا غربته عن هذا الوطن الحبيب بمثابة الموت، مصورا شدة تعلق روحه بوطنه رغم بعده عنه حتى إنه أصبح لا يرغب في النوم إلا لاشتياقه إلى رؤية وطنه في المنام، وإن كان النوم قد جفاه؛ حيث لم يهنأ له بال ولا غمض له جفن بعيدا عن وطنه، ثم هو يتحدث عن مشاعر الحزن

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٥.

والأسى التي يكنُّها ويخفيها في صدره حزنا على فراق وطنه، والتي من شدتها لو أعلنها لبكته الأرض والسماوات، ولا يخفى ما تنطوي عليه الأبيات من مشاعر الحزن والألم مما يتناسب معه كسر حركة الرويِّ، بيد أن الشاعر قد فاجأ المتلقي بمجيء الرويّ مضموما مما خالف توقعات المتلقي فظل يكدُّ ذهنه للوصول إلى مقصد الشاعر وراء ذلك، والذي تصبو إليه النفس أن السبب في إيثار الشاعر لحركة الضمة هو ما تحمله الضمة من معاني الدفء والاحتضان والعطف والحنان تلك المشاعر التي افتقدها الشاعر بعيدا عن وطنه فأفصح عبر تلك الضمة عن رغبته في العودة إلى وطنه واحتضانه مرة أخرى.

ثالثا: مفارقة الحركات والسكنات:

تحمل تفعيلات كل وزن عروضي العديد من الحركات والسكنات التي تتكرر بتكرار التفعيلة في كل شطر إلا أن تلك الحركات والسكنات قد يطرأ عليها من الزحافات والعلل ما يغيِّرها بحذف بعض الحركات أو السكنات، أو تسكين بعض الحركات أو غير ذلك مما يساعد في تسريع أو إبطاء الإيقاع الموسيقي حسبما تتطلب الحالة النفسية للشاعر والغرض العام من القصيدة، فحالة اليأس والإحباط مثلا يناسبها الإيقاع البطيء، بعكس حالة الخوف فيناسبها الإيقاع السريع الذي يعكس ضربات القلب السريعة وهكذا، فإذا عمد الشاعر إلى الإيقاع السريع مع حالات اليأس وفقدان الأمل ونحو ذلك فإنه يكون قد أحدث مفارقة إيقاعية تلفت انتباه المتلقي وتكسر أفق توقعاته مما يجعله في حالة تشوُّق لمعرفة غرض الشاعر من ذلك، مما يكون له أثره في إحداث المتعة والتشويق، وكما قيل: "ربما كان الزحاف في الذوق أطيب من الأصل"[١]، والناظر في قصائد

(١) **العروض الواضح وعلم القافية** . محمد علي الهاشمي . دار القلم . دمشق . ط١ . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م . ص١٩.

الحصري يجد بعض الأمثلة على المفارقة الإيقاعية التي تشكَّلت من مخالفة الحركات والسكنات لما هو متوقع، ومن ذلك قوله:

(من بحر الوافر)

كَذَا تفتضْ/ضُّ أبكارَ الـ/بـلادِ ولا مَهْرٌ/ سِوى البِيضِ الـ/حِدادِ
//٥/٥/٥ //٥/٥/٥ /٥// //٥/٥/٥ //٥/٥ /٥//
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن
هديتَ العَسْـ/ـكرَ الجرا/رَ ليْـلًا فأهديتَ الظَّـ/ـظِباةَ إلـى الـ/ـهَـوَادِي
//٥/٥/٥ //٥/٥/٥ /٥// //٥/٥/٥ /٥/// //٥/٥ /٥//
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن
مَلأتَ بهِ الـ/ـفَضَاءَ فضا/ءَ ليلٍ مَحَتْ فيه الظْـ/ـظبى شَكْلَ السْـ/ـسَوَادِ
//٥///٥ //٥///٥ /٥// //٥/٥/٥ /٥/٥/٥ //٥/٥ /٥//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن
وما أقبلْـ/ـتَ إلا بعـ/ـدَ ما قـدْ سَقَيتَ الثَّغْـ/ـرَ من ثَغْرِ الـ/ـأعَـادِي
//٥/٥/٥ //٥/٥/٥ /٥// //٥/٥/٥ //٥///٥ /٥//
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن مفاعلْتن مفاعلَتن فعولن
وكان مرا/مُ دانيـةٍ/ عزيـزًا فهانَ على الـ/ـمُسَوَّمةِ الـ/ـجِيَـادِ
//٥///٥ //٥///٥ /٥// / /٥/ / /٥ //٥///٥ /٥//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن
فآثرتَ الـ/ـعَوَالي في الـ/ـمَعَالِـي وآثرتَ الصْـ/ـصَلادِمَ في الصْـ/ـصَلادِ
//٥/٥/٥ //٥///٥ /٥// //٥/٥/٥ / /٥/ / /٥ /٥//
مفاعلْتن مفاعلَتن فعولن مفاعلْتن مفاعلَتـن فعولن
كأن سيو/فكَ الأقدا/رُ تجْـري بما شاءَ الـ/ـإلـهُ على الـ/ـعِبَـادِ
//٥///٥ //٥/٥/٥ /٥// //٥/٥/٥ //٥///٥ /٥//
مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن
ومثلكَ مَنْ/ جَنَى ثَمَرَ الـ/ـأمانِي وآتى حَقـ/ـقَهُ يـومَ الـ/ـحَصَـادِ
/ /٥/ / /٥/ / /٥ /٥// //٥/٥/٥ //٥/٥/٥ /٥//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن
تَشَاغَلَتِ الـ/ـمُلوكُ بمَنْ/ دَهَاهَـا وشُغْلُكَ في/ جِهاتِـكَ بالـ/ـجِهَـادِ
/ /٥/ / /٥/ / /٥ /٥// / /٥/ / /٥ /٥/٥ /٥// / /٥/ / /٥ /٥//
مفاعلَتـن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن
بنـاكَ الـ/ـهُ للإسْـلا/مِ حِصْنًـا وعَلَّمَكَ التـ/ـتَجَلُّدَ للـ/ـجِـلادِ
//٥/٥/٥ //٥/٥/٥ /٥// //٥///٥ //٥///٥ /٥//
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن

وتنهضُ والثْـ/ـثقيلُ عليـ/ـكَ خِـفٌّ وتنظرُ والـ/ـخَفِيُّ إليـ/ـكَ بَـادِ
/ /ه/ / /ه ه/ / /ه ه/ه// ه///ه ه///ه ه/ه//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن
وكيفَ يُنا/فسونكَ في الـ/ـمَعَالي وأنتَ سبقـ/ـتَهم سَبْـقَ الـ/ـجَـوَادِ
ه//ه/ / /ه ه/ه// ه///ه ه/ه//ه/ / /ه ه/ه//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن
فتحتَ مَعَا/قِلًا لو أبْـ/ـصَرُوهَـا لقالوا أنـ/ـتَ لُقمَـانُ بـ/ـنُ عَـادِ
ه///ه ه/ه/ه// ه/ه// ه/ه/ه// ه/ه/ه// ه/ه//
مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن
وفي سرْقَسْـ/ـطَةٍ لكَ دا/رُ مُلْـكٍ زَرَيتَ بهـا/ على ذاتِ الـ/ـعِمَـادِ
/ /ه/ه// ه///ه ه/ه// / /ه/ / /ه ه/ه/ه// ه/ه//
مفاعلْتن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن
ورأيُك في الـ/ـإدارةِ لـو/ رَآه مُعاويـةُ/ لأغنى عن/ زِيَـادِ
/ /ه/ / /ه ه///ه ه/ه// ه///ه ه/ه/ه// ه/ه//
مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن مفاعلَتن مفاعلْتن فعولن
لقد أربتْ/ سيوفُك يـو/مَ سُلَّـتْ على قسِّ بـ/ـنِ ساعـدةَ الـ/ـأيَـادِي[1]
ه/ه/ه// ه///ه ه/ه// / /ه/ / /ه ه/ه//
مفاعلْتن مفاعلَتن فعولن مفاعلْتن مفاعلَتن فعولن

يمدح الشاعر في تلك القصيدة (المقتدر بن هود) على شجاعته وقوته وقدرته على فتح (دانية) إحدى مدن الأندلس، موضحا كيف تحققت الآمال على يد هذا الفارس المغوار الذي استطاع فتح تلك البلدة الحصينة، وقد آثر الشاعر هنا بحرا من البحور ذات التفعيلة الواحدة، وهو بحر الوافر فنظم عليه قصيدته، وهذا البحر يتكون من تفعيلة (مفاعلتن) التي تتكرر ثلاث مرات في كل شطر، بيد أن العروض والضرب يأتيان دائمان "مقطوفين"[2]، وعليه تتحول (مفاعلتن)

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١١٦، وما بعدها.

(٢) "**القطف** هو مجموع العصب والحذف (أي تسكين الخامس المتحرك، ثم حذف سبب خفيف من آخر التفعيلة) مفاعلتن: مفاعل = فعولن" **العروض الواضح وعلم القافية** ـ ص١٢٩ .

إلى (فعولن)، وبحر الوافر من البحور الغنية بالحركات؛ حيث تتغلب فيه الحركات على السكنات، فتفعيلة (مفاعلتن) تحظى بخمس حركات مقابل سكونين فقط، ويبدو أن هذا ما دفع الشاعر لاختيار ذلك البحر وإيثاره على غيره لمناسبته لوصف المعارك والحروب، فهو من البحور التي تتميز بسرعة الإيقاع، وذلك لتكرار الحركة فيه بشكل كبير مما يتيح للشاعر أن يجسد عبر تلك الحركات الجلبة والضخب والكرّ والفرّ وتبادل الضرب والطعنات ونحو ذلك مما يصحب المعارك والحروب، فكان من المتوقع أن يأتي بتفعيلة (مفاعلتن) خالية من الزحاف حفاظا على سرعة الإيقاع، بيد أن الشاعر هنا قد أحدث مفارقة نغمية أثارت دهشة المتلقي، وخالفت توقعاته؛ حيث جاء **بتسع وعشرين** تفعيلة معصوبة، "والعصب هو تسكين الخامس المتحرك"[١]، مما أبطأ من إيقاع البحر العروضي، هذا الأمر الذي حير المتلقي ودعاه للبحث عن المعاني التي قصدها الشاعر وراء ذلك، ولعله صوَّر عبر هذا التباطؤ في الإيقاع طباطؤ الزمن في ظل تلك المعركة القوية الأبيَّة التي يصعب على غيره من الفرسان خوض غمارها، فلا شك أن الأوقات العصيبة تمر ببطء وتراخٍ بخلاف الأوقات السعيدة التي تمر على الإنسان خفافا، مما يعكس قوة الممدوح وشجاعته وصبره وثباته، وهذا ما قصده الشاعر وراء مفارقة السكنات التي تشكلت من مجيء عدد كبير من التفعيلات المعصوبة، وكأني بالشاعر يريد أن يعطي المتلقي فسحة من الوقت ليتملى المشهد بكل تجلياته.

ومما زاد من حدَّة المفارقة الإيقاعية في الأبيات السابقة مجيء حرف الرويّ مكسورا رغم عدم تناسب الكسرة مع معاني الشجاعة والإقدام وغيرها من الصفات التي يتحلَّى بها هذا الفارس المغوار، ولا شك أن الأنسب مع غرض

(١) **العروض الواضح وعلم القافية** . ص١٢٧.

المدح حركة الفتحة لما تحمله من الفخامة وعلو الشأن والرفعة، لذا كان من المتوقع أن تنتهي الأبيات برويّ مفتوح، بيد أن الشاعر قد خالف التوقعات وأورد الرويّ مكسورا مما أحدث مفاجأة أخرى للمتلقي، فإن الكسرة أنسب لمشاعر الحزن والانكسار على عكس ما تحمله القصيدة من مشاعر الفخر والاعتزاز بالممدوح الذي هان الصعب على يديه وحقق المستحيل بفتح (دانية)، وكأننا أمام شريط سينمائي يبطئ المخرج من حركته حتى يستمتع المتلقي بهذه المشاهد ويعيش أحداثها، مما جعل المتلقي يسعى جاهدا لمعرفة ما تحمله تلك المفارقة الإيقاعية من أغراض خفية قصدها الشاعر، ولعل الغرض وراء ذلك هو تسليط الضوء على ما يصحب تلك المعارك من قتلى وجرحى مما يستدعي مشاعر الحزن والأسى، ثم إنَّ الكسرة تعد أقوى الحركات مما يتناسب مع قوة المعركة وشدتها.

وهكذا يتضح كيف تجلت المفارقة الإيقاعية في شعر الحصري بكل وضوح مما كان له دور فعال في إيصال غرض الشاعر للمتلقي على أكمل وجه، فضلا عن إحداث المتعة والتشويق، والمتدبر لشعر الحصري يجد أنواعا أخرى من المفارقات قد ظهرت عنده بكل وضوح، ومنها المفارقة الموقفية التي سيتناولها المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الخامس: المفارقة الموقفية وتجلياتها في شعر الحُصري

والمفارقة الموقفية تلك التي "تعبر عن غرابة الموقف، وتناقضه مع المتوقع، ففي حين يتوقع المتلقي حدوث أمر ما يجد عكسه، ومردّ هذه الغرابة يعود إلى المبدع نفسه، فهو الذي يصنعها أو تصنعها الأحداث داخل ذاته وفي أعماق نفسه، فينقلها للمتلقي ليشاركه غرابة الموقف، ويتفاعل معه في الحالة الوجدانية التي يعيشها"(١)، وقد تجلت المفارقة الموقفية في الكثير من شعر الحصري مما ينبئ عن كثرة الصدمات التي مرت به في حياته، والتي لم يكن يتوقعها على الإطلاق، ومن ذلك قوله:

(من بحر الكامل)

باللهِ يا عيدًا تبسَّمَ للورى لا تلقني إلا وأنتَ عبوسُ
هل عادةُ المشتاقِ ليلةَ عيدِهِ وصباحِهِ إلا بُكَا ورسِيسُ
دَمِيَ المحلُ وما نحرتُ وإنما إنسانُ عيني في دَمِي مَغْموسُ(٢)

تبدو المفارقة الموقفية في الأبيات السابقة جلية؛ لما تحمله من الغرابة والتناقض مع المتوقع، فالعيد الذي يمثل البهجة والسرور، واجتماع الأحبة، أصبح يمثل للشاعر الحزن والكآبة؛ لأنه يُذكِّره بموت ابنه وقرة عينه الذي فارق الدنيا يوم عيد الأضحى، فتجد المفارقة بين **(تبسَّم)** و**(عبوس)** التي تفصح عن صراعات الشاعر الداخلية والخارجية، وتكشف عن معاناته المريرة التي يعيشها بسبب موت ابنه، فبينما العيد يبتسم لغيره، إذا به يلقى الشاعر بوجه عبوس، وتتصاعد المفارقة في البيت التالي فيصور فيه الشاعر حرارة بكائه على ابنه التي حوّلت دموعه إلى دم يسيل على المكان تزامنا مع عيد الأضحى، مما جعل مَن يراه يظن أن الشاعر قد نَحَرَ، بيد أنه يفاجئهم بأنَّ هذا الدم ليس سببه النحْر

(١) **بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية "شعر المتنبي نموذجا"** . ص١٠٦.
(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٤٢١.

كما ظنوا، وإنما لشدة حزنه على ابنه أصبح يبكيه بدلا من الدموع دمًا.

كذلك من المواضع التي برزت فيها المفارقة الموقفية قوله:

(من بحر الطويل)

وأصفح عن دهري على أن صرفه رزاني بفقد ابن وغدر رزان[١]

وتتشكل المفارقة الموقفية هنا عبر التناقض التام بين موقف الدهر مع الشاعر وردة فعله تجاه هذا الموقف، فعلى الرغم من إساءة الدهر له في أعزِّ ما لديه؛ حيث موت ابنه وغدر زوجته التي أشار إليها عبر قوله **(رزان)** هذا الوصف الذي كسر به توقعات المتلقي لتناقضه مع الغدر، فالمرأة التي تتصف بالوقار لا يُتوقع منها الغدر، وهذا مما يزيد من شدة معاناته مع الدهر، ومع ذلك تجد الشاعر يصفح عنه ويغفر له تلك الإساءة، ومما يزيد من حدة المفارقة هنا أن الشاعر قد جعل نفسه أقوى من الدهر حيث قال: **(وأصفح عن دهري)** ولا شك أن الطرف الأقوى هو الذي يملك الصفح، ورغم أن الشاعر قد أثبت القوة للدهر حيث أقرَّ بأنه قد رزاه بفقد ابنه وغدر زوجته، إلا أنه يصفح عنه، مثبتا بوساطة تلك المفارقة صموده وعدم انكساره أمام نوائب الدهر، فبدلا من أن يطلب من دهره الصفح، إذا به يصفح هو عنه.

كما تتجلى المفارقة الموقفية في قول الحصري:

(من مجزوء الوافر)

مُقِرُّ العينِ أسْخَنَها ومُسْلِي النفسِ أحْزَنَهَا

بنفسي روضةُ أنفٌ ذَوَتْ ما كان أحْسَنَهَا

مَحَاهَا اللهُ إذْ جَلَّى بها الدُّنيا فَزَيَّنَهَا[٢]

قامت المفارقة هنا على التضاد الذي يظهر بين الألفاظ والذي تتجلى عبره غرابة الموقف وتناقضه مع المتوقع، حيث يأتي الشاعر بما يوحي بالأمل والرجاء

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٠.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٨١.

ثم يتبعه بما يفصح عن اليأس والإحباط، فبينما يصف الشاعر ابنه بأنه **(مُقِرُ العينِ)**، إذا به يفاجئ المتلقي بقوله **(أسْخَنَها)** فبعد أن جعله مصدرًا لسرور عينه وفرحها، تجده يصيِّره مصدرًا لبكائها وحزنها، ثم هو يتحدث عن روضة بلغتْ أوج ازدهارها، ليكسر بعدها توقعات المتلقي قائلا **(ذَوَتْ)**، تلك اللفظة التي تنبئ عن تدهورها واضمحلالها، ثم هو يردف قائلا **(مَحَاها اللهُ)** ليتخطى بعدها أفق انتظار المتلقي قائلا **(إذْ جَلَّى بها الدنيا)** فمحو هذه الروضة جاء في الوقت نفسه الذي بلغت فيه ذروتها من الكمال والجمال، وقد صوَّر الشاعر بوساطة ذلك موقف الموت من ابنه هذا الطفل الذي بلغ من محاسن الأخلاق شأوا عظيما؛ حيث كان مُقِرَ عين أبيه، كما بلغ من الجمال القدر نفسه فكان كالروضة الأنف، مما جعل أباه يتأمل فيه البركة وطول العمر، فإذا بالموت يأتي ليفجعه فيه، على غير ما يُتوقع.

كما تبدو المفارقة الموقفية في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

زَوَانِي عَمَى عَيْنَيَّ عن آفةِ الهوى لعلَّ عيونَ الناظرين زَوَانِي[1]

في هذا البيت يفصح الشاعر عن موقفه تجاه عماه، ليفاجئ المتلقي بموقف غير متوقع؛ حيث فاجأه بتفضيل عماه على البصر، وقد بنى الشاعر المفارقة عبر المقابلة بين الشطر الأول والثاني، والتي كشف خلالها عن تفضيل عماه على البصر، وهذا موقف غريب وغير متوقع؛ فمن المسلَّم به أنَّ نعمة البصر من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، وأن فقدان هذه النعمة . عياذا بالله تعالى من ذلك . أمر شاق جدا على أي إنسان، إلا أنَّ الشاعر قد برَّر ذلك بأنَّ عماه قد جنَّبه الوقوع في آفة الهوى التي يقع فيها معظم

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٠.

المبصرين، ولعلَّ تفضيل الشاعر عماه على البصر هنا جاء كحيلة دفاعية حاول بها إكمال نقصه.

أيضا تظهر المفارقة الموقفية في قول الحصري:

(من مجزوء الوافر)

لحا الله الزمانَ أبًا أُسودُ بَنِيهِ أثْخَنَهَا

كأنهم عداهُ فكــم أثارَ وغًي وأكمنَها

أغثُّ بنيــهِ يأكلُــهُ فكيف يعاف أسمَنَها

وأيُّ أبٍ يدير على بنيهِ رحًى ليطحنَها[١]

تتبنـي المفارقـة فـي الأبيـات السـابقة بوسـاطة مـا رسـمه الشـاعر مـن صـورة قاسـية لأبٍّ يفتـرس أبنـاءه ويـأكلهم بغيـر رحمـة كـأنهم أعداؤه، حتـى إنـه لا يتـرك هزيلهم الـذي لا يُسمن ولا يغنـي مـن جـوع، وهـذه الصـورة تتنـاقض تمامًـا مـع مـا تقتضيه الأبوة من الرحمة والعطف والحنان، مما جعل المتلقي يقع في حيرة من أمره فيحاول السعي جاهدا للوصول إلى مراد الشاعر، فيجد أن الألفاظ هنا قد انتقلت من حقلها الدلالي المعروف إلى حقل دلالي آخر، ففي الحقيقة ليس هناك أبٌ يتصف بهذه الصفات، وإنما تخطت تلك الألفاظ معناها الظاهري لتحمل في طياتها صورة ساخرة تجسِّد تمكُّن الموت من جميع البشر، وعدم استطاعة أحد منهم النجاة من قبضته.

كما تبدو المفارقة الموقفية في قول الحصري:

(من بحر الخبب)

رَشَأٌ يصطادُ الأُسْدَ وكم رامتهُ الأُسْدُ فلم تَصِدِ[٢]

يتحـدث الشـاعر هنـا عـن أمـر عجيـب يتصـف بالغرابـة والتنـاقض مـع

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٨٣.

(٢) **المصدر السابق** . ص١١٩.

المتوقع؛ حيث يجعل الرشأ وهو ولد الغزال يصطاد الأُسْد الأقوياء، وإذا حاولت الأُسْد اصطياده فإنها تفشل، وهذا أمر عجيب يتناقض مع المتوقع مما دعا المتلقي إلى تخطي المعنى الظاهر للألفاظ محاولا البحث في أعماقها عما يقصده الشاعر، وقد انبنتْ المفارقة هنا على سلب الألفاظ دلالتها الحقيقية، وإكسابها دلالة جديدة كامنة في أعماقها، مما أضفى على النص جمالا ورونقا، فقوله **(رشأ)** قد فارق معناه الظاهري المعروف ليدل على الممدوح، وهو (المعتمد)؛ حيث قيل هذا البيت ضمن قصيدة يمدح بها (المعتمد)، أما **(الأُسْد)** فقد جاوز معناه الظاهري ليرمز به إلى الأعداء، ووصفه للأعداء هنا بأنهم أسود ليس مدحا لهم، وإنما مدح لـ(المعتمد) الذي يصغرهم سِنًّا ومع ذلك يصطادهم، بينما يعز عليهم صيده رغم قوتهم ومحاولاتهم المتعددة للإيقاع به.

كذلك من المواضع التي تجلت فيها المفارقة الموقفية قول الشاعر:

(من بحر الطويل)

وكنتُ أُداريها وأَرقِي سِمامَها ... على أنَّ أفعالي تُسَمّ بها الأفْعَى
عليكَ حذارَ اليُتْمِ حتى تَمَرَّدتْ ... وقِيلَ اتَّرِكْهَا إنها حَيَّةٌ تسْعَى
رأيتُ أحبَّ الغانياتِ لبعلِهَا ... إذا شابَ لا ترضى، وإن غابَ لا ترْعَى[1]
فقلْ للهوى حَسْبِي بما مَلَكَتْ يَدِي ... ولو أنني اسْتَبْدَلْتُ بالدُّرَرِ الجزْعَا[2]

فالشاعر هنا يحط من شأن زوجته بسبب غدرها له، ويهجوها بأقسى العبارات، فيصفها بأنها حية تسعى، وأنها لا تراعي شيبة زوجها، ولا تحفظه في غيابه، ثم تجده فجأة يُعلي من شأنها ناعتًا إياها بـ**(الدُّرر)** مما أحدث مفارقة واضحة؛ حيث غرابة الموقف وتناقضه مع المتوقع؛ فهذا الوصف لا يتناسب مع مقام الهجاء، مما أحدث مفاجأة للمتلقي وكسرا لتوقعاته، وإعمالا لذهنه للبحث

(١) "**الغانية:** التي غنيت بحسنها وجمالها عن الحلي" **لسان العرب** ـ مادة (غنا) . جـ١٠ . ص١٣٦.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٩٦.

عما يوفق به بين هذا التناقض ليصل إلى استمرار حبِّ الشاعر لهذه الزوجة، وتعلق قلبه بها رغم ما صدر منها من غدر، ومما يؤيد ذلك ما جاء في البيت الثالث من الأبيات السابقة؛ حيث حاول فيه الشاعر التماس الأعذار لتلك الزوجة وتبرير أفعالها بأن هذا هو طبع جميع النساء الجميلات وجبلتهم.

وثمة موضع آخر تتبدَّى فيه المفارقة الموقفية، وهو قول الحصري:

(من بحر البسيط)

ما إن سجا الليلُ إلا زادني شَجَنا فأتبَعَتْ زَفَرَاتِي فيه أناتُ
ولا تنفستُ أنفًا في الرياضِ ضُحى إلا بدتْ حَسَرَاتي المستكنَّاتُ
هذا ولم تشْجُ قلبي للربابِ رُبَى ولا تَقَصَّتْه من لُبْنَى لُباناتُ
وكم دُعِيتُ لبُستانٍ فجَدَّ لي وَجْدًا وإن كان في معناهُ سَلْوَاتُ
ولو تراني إذا غنَّتْ بَلابِلُهُ أشكُو البَلابِلَ لو تُغنِي الشكيَّاتُ
إني لأظمأُ والأنهارُ جاريةٌ حولي وأُضْحِي ودونَ الشمسِ دَوْحَاتُ[1]

تتجلى في الأبيات السابقة مفارقة موقفية تحمل الكثير من التناقضات مما يجعل المتلقي يقف متحيرا باحثا عن المعنى العميق الذي يوفق به بين تلك المتناقضات ليصل إلى مكنون الشاعر؛ حيث تتجلى في هذه الأبيات عدة أشياء من شأنها أن تدخل البهجة والسرور على القلوب، وكلما ذكر الشاعر أحد هذه الأشياء انتظر المتلقي أن يعقِّبها بذكر أثرها البهيج على نفسه، بيد أن الشاعر في كل مرة كان يصدم المتلقي ويخالف توقعاته ويذكر أثرها السيء على نفسه، مما شكَّل مفارقة موقفية بين ما يُتوقع وما يحدث بالفعل، فتجد قوله: **(ولا تنفستُ أنفًا في الرياضِ ضُحى إلا...)** يجعل المتلقي يتوقع أن يقول الشاعر بعدها **إلا ذهبتْ حَسَرَاتي**، فإذا بالشاعر يقول: **(إلا بَدَتْ حَسَرَاتي المستكنّاتُ)** رغم أن من

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٦.

شأن زيارة الرياض وتنفس عبيرها أن تدخل البهجة والسرور وتشرح الصدور وتذهب الهم والغم، مما أحدث مفارقة موقفية جعلت المتلقي يقف حائرا أمامها، ومما زاد من حدة المفارقة ما أتبع به الشاعر ذلك البيت وهو قوله: **(هذا ولم تشْجُ قلبي للربابِ رُبَى *** ولا تَقَصَّتْه من لُبْنَى لُباناتُ)** حيث يذكر فيه أن قلبه لم يُطرب ولم يبهج من رؤية الرُّبى الخضراء حسنة المنظر، ولا حتى من مذاق شجر اللُّبنى الذي يخرج منه لبن طيب المذاق كالعسل مع أن تلك الأشياء من شأنها أن تبهج القلب، مما زاد من حيرة المتلقي فأخذ يسترسل في القراءة لعله يجد ما يعينه على فهم المعنى، فإذا به يجد الشاعر يقول: **(وكم دُعِيتُ لبُستانٍ فجَدَّد لي...)** فيتوقع المتلقي أن يتبعه الشاعر قائلا **فجدَّد لي سَعْدا أو فَرَحا أو ذكرى طيبة** أو نحو ذلك مما تستدعيه زيارة البساتين والحدائق المبهجة، فيستكمل القراءة ليجد نفسه أمام مفارقة أخرى؛ حيث يجد الشاعر يتبعه قائلا: **(فجَدَّد لي وَجْدًا)** مما يجعل المتلقي يقف مصدوما مرة ثانية أمام تلك المعاني المخالفة لما يشهد به الواقع، ثم يسترسل الشاعر قائلا: **(ولو تراني إذا غنَّتْ بَلابلُهُ...)** فيتأهَّب المتلقي لسماع ما يتناسب مع تغريد البلابل من استحسان الشاعر لذلك، بيد أن الشاعر يخيِّب ظنَّه قائلا: **(أشكُو البلابلَ لو تُغنِي الشكيَّاتُ)**، ثم ترى الشاعر يقول بعدها **(إني لأظمأُ والأنهارُ...)** فيتوقع المتلقي أن يقول الشاعر **راقدة أو جافة** أو نحو ذلك مما يحول بينه وبين الشرب منها ليتفاجأ بقول الشاعر **(جارية)** مما يثير دهشة المتلقي ويجعله في حيرة من أمره، فيسعى جاهدا لفك ألغاز تلك المفارقة الموقفية، ليصل بعد ذلك إلى أن غربة الشاعر وبُعده عن وطنه هو السبب الرئيس الذي جعل كل أسباب السعادة قد تحوَّلت عنده إلى أسباب شقاء، وذلك لأنها تُذكِّره بوطنه الحبيب (القيروان) الذي رحل عنه مجبرا بعد نكبته، ولا شك أن تلك المفارقات ساعدت في تعميق إحساس الشاعر بمرارة الغربة ولوعة فراق الوطن.

وتندرج تحت المفارقة الموقفية عدة مفارقات منها (المفارقة الدرامية،

والرومانسية... إلخ)، ومن أنواع المفارقات الموقفية التي كان لها حضور في شعر الحصري المفارقة الرومانسية كما سيتبين.

المفارقة الرومانسية:

وتتحقق المفارقة الرومانسية عبر الجمع بين حالين متناقضتين يعيشهما الشاعر بين الوهم والحقيقة؛ حيث يبدأ برسم صورة حالمة سعيدة، ثم لا تلبث أن تتلاشى تلك الصورة وتحل محلها صورة حزينة بائسة، أو العكس؛ فـ"يقوم صاحب المفارقة الرومانسية ببناء هيكل وهمي من خلال جعل الذات تعيش ذلك الوهم باعتباره واقعا، ثم لا يلبث أن يهدم هذا الوهم وينسفه"(١)، وقد تجلت المفارقة الرومانسية في بعض المواضع عند الحصري، ومن ذلك قوله:

(من بحر المتقارب)

نسيتُ به جنَّتي القيروان وعِشتُ به ناعمًا في لَظَى(٢)

فالشاعر يتحدث هنا عن ابنه بانيا صورة تخييلية لحياة هادئة ناعمة يعيشها مع ابنه في غربته تلك الحياة التي أنسته وطنه الحبيب، وجنته (القيروان)، ولكن ثمة مفاجأة تفاجئ المتلقي في آخر البيت وتكسر توقعاته وهي قوله **(لظى)** التي هزَّت المتلقي هزة عنيفة جعلته يكتشف أنَّ الحياة الناعمة التي تحدَّث عنها الشاعر كانت مجرد وهم، ولا يخفى ما قامت به المفارقة هنا من تكثيف المعنى وتحميله الكثير من الدلالات التي أراد الشاعر إيصالها للمتلقي.

كما تشكلت المفارقة الرومانسية عند الحصري عبر قوله:

(من مخلع البسيط)

---

(١) **تجليات المفارقة في شعر عبد الرحيم عمر** ـ رجاء خليل عقيلان ـ مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية . كلية الآداب . جامعة اليرموك . الأردن . ٢٠٢٠م . ص٢٤٥.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣٤٦.

قاسيتَ من عِلَّتِكَ ما قد رقَّ له الموتُ وهْو قاسِ
سُقْمٌ ونزْفٌ أبانَ عندي في ذا وذا عَجْزُ كلِّ آسِ
سَعِدْتَ فأْمَنْ شقاءَ نارٍ تُملأُ من جِنةٍ ونَاسِ(١)

تتجلى المفارقة الرومانسية هنا بوساطة الثنائيات الضدية المتمثلة في قوله **(رقَّ، قاسِ)**، **(سعدتَ، شقاء)**، **(جِنَّة، ناس)**، ولكنها جاءت على عكس المألوف، فبعد أن بلغت مشاعر الحزن ذروتها لدى الشاعر؛ حيث يتذكر مشهد احتضار ابنه وما عاناه من نزف وألم أودى بحياته، إذا ببارقة أمل تقلب المشهد، فبعد ذكر السقم والنزف والمعاناة، تجد الشاعر يفاجئ المتلقي بقوله **(سَعِدْتَ)** التي حوَّلت هذا المشهد من قمة الحزن إلى قمة الفرح؛ حيث تذكَّر النعيم الذي أعدَّه الله تعالى لابنه، وتذكَّر أمنه من النار التي تمتلئ بالجِنَّة والناس، فخاطبه مُسندًا إليه السعادة جزاء له على صبره واحتسابه، وقد أظهر الشاعر بوساطة تلك المفارقة قوة إيمانه وشدة صبره واحتسابه، ويلاحظ في الشطر الأخير تأثره بقوله تعالى:﴿...لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (هود: ١١٩)، هذا التأثر الذي زاد من جمالية المفارقة هنا.

وثمة موضع آخر تجلت فيه المفارقة الرومانسية عند الحصري، وذلك في قوله: **(من بحر المديد)**

يا عُقابَ الموتِ حُمتِ على عَقِبِي فانحلّتِ العُقَـــدُ
اختطفتِ ابنَ اللباةِ ولـــم تحمِهِ الأظفارُ واللبـــدُ
وخبا نجمي فها أنـــذا لا سَنَى يُهدِي ولا سَنَدُ
كَبِدُ المــرءِ ابنُـــهُ فـــإذا كُبَّ أمسى ما لـــه كبـدُ
كلُّ محبوبٍ يُمـــلُّ سِـوى ما يلي الإنسانُ أو يلـدُ

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٤٨٣.

إنمـا الأبنـــاءُ إنْ نَجُبُـوا عَـدَدُ الآبـاءِ والعُـــــدَدُ
وإذا كـانَ الفتـــى خلفًـــا فَحُلَى أجـــــدادِهِ جُـــدُدُ
نَفَسَ الباكـي عليـــك تُرى يا حَيَا الصادي مـتى نَـرِدُ
كنْ غدًا نـــورَ الشقـي إذا ما سَعَى نورُ الأُلَى سَعِدُوا
وحديـــثٍ للنبـــي يَعِـــي فيه بُشْـراهُ بمـا يَـــعِـدُ
وعسى المُختـــارُ يذْكُـــرُهُ فيَقِـي المحزونَ إذْ يَفِدُ[1]

رسم الحصري في هذه الأبيات صورة بائسة حزينة صوَّر فيها ضعفه أمام قوة الموت وسطوته، وكيف انقض على ابنه بغير رحمة كما ينقض طائر العُقاب على فريسته، فاختطفه غير ملتفت لهذا الأب الذي حاول حمايته بكل ما يستطيع ولكن دون جدوى، تاركا هذا الأب يعاني الوحدة والظلام بعد ابنه الذي كان سنده وعوضه عن فقدان بصره، ومما زاد من حزن هذا الأب وشقائه ما تميَّز به هذا الابن من النجابة والذكاء، هذه الصورة الحزينة التي رسمها الشاعر جعلت المتلقي يتعاطف معه أشد التعاطف، بل إنه لا يلبث أن يذرف الدموع الحارة حزنا على هذا الشاعر البائس، فإذا بالشاعر يباغته بتلاشي هذه الصورة الحزينة لتحلّ محلها صورة أخرى على العكس منها تماما، وهنا تتجسد المفارقة؛ حيث يجد المتلقي صورة سعيدة تحمل بشرى عظيمة لهذا الأب البائس؛ حيث يتذكر الشاعر حديث النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يقول فيه "من مات له ثلاثة من الولد، فاحتسبهم دخل الجنة"[2]، وهذا الابن لم يكن الابن الأول الذي اختطفه الموت من الحصري، بل مات قبله ثلاثة من الأبناء، فهو رابعهم، مما يفتح للشاعر طاقة أمل وبشارة عظيمة تجعله يصبر ويحتسب ويتناسى ما فيه من الهم

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٣١٠.

(٢) **الأدب المفرد** . الإمام الحافظ بن إسماعيل البخاري . تحقيق: سمير بن أمين الزهري . مكتبة المعارف . الرياض . ط١ . ١٣١٩هـ . ١٩٩٨م . حديث رقم ١٤٦ . ص٧٨.

أمام هذه البشارة العظيمة، فقد ساعدت المفارقة هنا في تسلية الحزن عن نفس الشاعر والهروب من واقعه الأليم إلى واقع سعيد.

وعلى ضوء ما سبق يتضح توفيق الشاعر في توظيف المفارقة الموقفية والتي كانت عونا له على تكثيف الدلالة وتعميق المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وظف الشاعر نوعا آخر من المفارقات في شعره لم يكن أقل أهمية من الأنواع السابقة هو مفارقة الأحوال، كما سيتضح في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث السادس: مفارقة الأحوال في شعر الحُصري

ومفارقة الأحوال هي التي تكشف عن الصراع النفسي للأديب؛ حيث "تعبرعن التصادم الذي يحدث داخل الذات نتيجة لاجتماع صفتين مختلفتين أو متناقضتين داخل الذات في وقت واحد"(١)، وتعد مفارقة الأحوال سمة بارزة في شعر الحصري تتجلى عنده عبر التناقضات الشعورية بين المشاعر المتضادة كالفرح والحزن، والحب والحرمان، واللذة والألم، وغير ذلك مما يظهر في شعره بكل وضوح، ومن ذلك قوله:

(من بحر البسيط)

لئنْ بعُدتُمْ وحَالَ البَحرُ دُونَكُمُ لبَينَ أرواحِنا في النومِ زَوراتُ
ما نمتُ إلا لكي ألقَى خَيالَكُمُ وأينَ من نازحِ الأوطانِ نَوماتُ(٢)

يظهر في البيتين السابقين اجتماع صفتين متناقضتين داخل الشاعر؛ حيث الشعور بالبعد المكاني والقرب الروحي، فالشاعر يصف حالة من البعد الجسدي؛ حيث البحر حاجز يحول بينه وبين وطنه القيروان، لكنه في الوقت نفسه يعبر عن قرب روحي عميق يظهر في تلاقي الأرواح أثناء النوم، مما يزيد رغبته في النوم ليحظى برؤية وطنه الحبيب ويستأنس بمَن فيه من الأهل والأحباب، فإذا به يجد النوم عزيزا عليه لا يواتيه بسبب غربته وعذابه العاطفي، مما يكشف عن الصراع الداخلي للشاعر.

كما تتجلى مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الخبب)

يَا ليلُ الصّبُّ مَتَى غَدُهُ أقِيَامُ السَّاعةِ مَوعِدُهُ(٣)

---

(١) **بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية "شعر المتنبي نموذجا"** . رضا كامل . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٠م . ص١٢٠.

(٢) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٢٥.

(٣) **المصدر السابق** . ص١٤٣.

في هذا البيت يوجه الشاعر سؤالا إلى الليل يعبر عن شدة شوقه وانتظاره إلى فجر جديد يتحقق له فيه ما يتمنى من لقاء محبوبته، مما يفصح عن شدة لوعته، ومعاناته في انتظار هذا اللقاء، ثم يردفه بسؤال آخر يربط هذا اللقاء المنتظر بقيام الساعة الذي يمثل نهاية العالم، مما يجسد مشاعر متناقضة لدى الشاعر تجمع بين شدة الشوق، والحرمان الأبدي.

كذلك تبدو مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

جَلِيدٌ على الكِتمَانِ لو لمْ تُبِحْ بهِ دُمُوعٌ على خدَّيهِ بالدمِ تُمزَجُ[1]

يتحدث الشاعر هنا عن قوة إرادته في كتمان مشاعره وعدم البوح بها مهما كان حجم المعاناة التي يعيشها، مما يعكس قوة تحمله وقدرته على الصبر، بيد أن حقيقة مشاعره تظهرها دموعه التي تنهمر على خديه ممزوجة بدمه، وتتجلى المفارقة هنا عبر مزجه بين الثبات الداخلي الذي يتجلى عبر قوله **(جليد)**، والانهيار الخارجي المتمثل في انحدار الدموع، وهذا التناقض يجسد الصراع الإنساني بين قوة التحمُّل والضعف العاطفي، ويبرز كيف أن المشاعر قد تكون أقوى من أي محاولة لضبطها أو إخفائها.

أيضا تتجلى مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

خَضَعْتُ لمن أصبحتُ في الحُبِّ عَبْدَهُ على أنَّ مَجْدِي في الأعِزَّةِ باذِخُ[2]

يصف الشاعر هنا حاله وخضوعه لحبيبه وعبوديته له رغم ما يملكه من مكانه رفيعة ومجدا شامخا، وهنا تتجلى مفارقة الأحوال؛ حيث جمع الشاعر بين

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢١٦.

(٢) **المصدر السابق** . ص٢١٨.

ذل الحب وكبرياء المجد مما يعكس عمق التناقض في المشاعر الإنسانية ويجسِّد قوة الحب وقدرته في إخضاع أعز الناس شأنا.

كذلك تظهر مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

ذويتُ وعُودِي بالرُّضابِ اخضرارُهُ صَدِئتُ وقلبي بالنَوَاصُلِ يُشْحَذُ[١]

يبين الشاعر هنا أثر غياب المحبوبة عنه؛ حيث ذبول جسده ووهن قلبه، بعد اخضرار عوده الذي يشير إلى قوة جسده ونضارته التي كان يستمدها من رضاب المحبوب (أي ريقه)[٢]، وقوة قلبه التي كان يستمدها من لحظات الوصال العاطفي التي تمنحه الحيوية والنشاط، وتتجلى مفارقة الأحوال هنا في جمع الشاعر بين قوته وضعفه وربط ذلك بوصال المحبوب وهجره، وقد جسد عبرها قوة الحب الذي يغذي روحه وجسده.

كما تبدو مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

وَفَتْني دُموعُ العينِ والصبرُ خانني فجُرِّعتُ في حُبي لكَ المُرَ والحُلوا[٣]

يشرح الشاعر هنا حاله بعد فراق محبوبته؛ حيث لا يجد له صبرا ولا عزاء على فراقها ولا يجد له سبيلا للراحة سوى دموع عينيه التي يسكبها بغزارة لعله يجد فيها تخفيفا من عذابه، وتتجلى مفارقة الأحوال هنا عبر الجمع بين حالين متناقضتين في كل شطر، ففي الشطر الأول تجد الشاعر يجمع بين الوفاء الذي نسبه لدموع عينه، والخيانة التي يمثلها الصبر، مما يعكس حالة التشتت العاطفي بين الوفاء للحب والعجز عن تحمل الهجر، وفي الشطر الثاني تكمن المفارقة في

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٢٠.

(٢) ينظر **لسان العرب** . مادة (رضب) . جـ٥ . ص٢٢٩.

(٣) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٣٨.

الجمع بين المر والحلو مما يعبر عن طبيعة الحب الذي يمزج بين اللذة والألم في آن واحد، ولا يخفى الدور الفعال لهاتين المفارقتين اللتين أبرزتا الصراع الداخلي للشاعر، وساعدتا في تعميق الإحساس بتعقيد مشاعره تجاه الحبيب.

أيضا تتجلى مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

نسيمُ الصِّبا منْ أجلِكُمْ أستطيبُه وإنْ زادَ في قلبي بهِ الخَفَقَانُ(١)

يفصح الشاعر هنا عن أثر نسيم الصبا على نفسه مستخدما مفارقة الأحوال التي تبدو بوساطة جمع الشاعر بين صفتين متناقضتين لهذا الأثر وهما اللذة والألم؛ حيث يُظهر الشاعر إعجابه بنسيم الصبا لأنه يربطه بذكريات الحبيب، مما يبعث اللذة والسرور في نفسه، ثم يشير إلى أن هذا النسيم الذي يعجبه ويُسرُّ به هو في الوقت نفسه يزيد قلبه ألما ووجعا بسبب الشوق والحنين، فتجده قد جمع بين المتعة والألم في آن واحد مما يعكس تناقض المشاعر المرتبطة بالحب.

كذلك تظهر مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(مجزوء الخفيف)

يا نُورَ عَيني فَقَدْتُه وفي الفُؤادِ وَجَدْتُه(٢)

يعبر الشاعر هنا عن حزنه لفقدان ابنه مستعينا بمفارقة الأحوال التي تجلت عبر جمعه لصفتين متناقضتين في آن واحد وهما الفقد والحضور؛ حيث يصرِّح في الشطر الأول بفقدان ابنه جسديا، بينما يبين في الشطر الثاني أن هذا الابن لا يزال حاضرا في قلبه، ولا شك أن هذا الجمع بين الفقد المادي والحضور

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٣٦.

(٢) **المصدر السابق** . ص٢٨٤.

العاطفي كان له دوره الفعال في تعميق الأثر العاطفي للبيت وإظهار الحزن الممزوج بالحب الخالد.

كما تتجلى مفارقة الأحوال أيضا في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

ضُلُوعي على نارٍ من الوَجدِ تَنْحَنِي ولكنَّني جَلْدُ القُوى مُتَغَاضِ[١]

يشرح الشاعر هنا معاناته في الحب، مفصحا عن شدة ألمه ومعاناته الداخلية لدرجة أن ضلوعه كادت تنحني تحت وطأة هذا الشعور، وبالرغم من هذا الألم الداخلي فإنه يظهر صلابته وقوة تحمله ويتظاهر بالتغاضي، وعدم التأثر، وهنا تظهر مفارقة الأحوال في الجمع بين صفتين متناقضتين في آن واحد وهما الألم الباطني الشديد والجلد الظاهري الذي يوحي بالثبات، مما يكشف عن الصراع النفسي للشاعر ويعمق معاناته في الحب.

وثمة موضع آخر تتجلى فيه مفارقة الأحوال في قول الحصري:

(من بحر الكامل)

هَذا أبُوكَ أكَنَّ حَسْرَتَهُ لكِنَّ عَينَيهِ بِهِ وَشَتَا

لا تعْجبُوا مِنْ حَرِّ زَفْرتِهِ قدْ صَافَ في جَمْرِ الغَضَا وَشَتَا[٢]

يخاطب الشاعر هنا ابنه الذي فارق الحياة مشيرا إلى مشاعر الحزن والحسرة التي أراد هذا الأب إخفاءها لكن عينيه قد كشفت عن معاناته بإدرارها الدمع الغزير، ثم هو يخاطب الجالسين حوله ويطلب منهم عدم الاستغراب من حرارة زفرات هذا الأب التي رغم شدتها تصدر في شتاء قارس، مما يخلق صورة فنية تجسد مشاعر الأب وتبرز شدة معاناته، وتتجلى مفارقة الأحوال هنا بين

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٢٦.

(٢) **المصدر السابق** . ص٢٨٨.

المشاعر الداخلية للشاعر والمظاهر الخارجية للطقس المحيط به، ولا يخفى جمال المفارقة هنا حيث تمكَّن الشاعر عبرها من تسليط الضوء على قوة العاطفة التي استطاعت أن تتحدى قوانين الطبيعة؛ حيث يتعايش الحزن العاطفي الحارق مع البرودة الطقسية المحيطة، مما أضفى على البيت عمقا شعوريا ساعد في تعزيز المشاركة الوجدانية بين المتلقي والنص.

والمتدبر لشعر الحصري يجد نوعا آخر يدخل ضمن مفارقة الأحوال قد تجلى في شعره بوضوح، وهو مفارقة الأحوال أو تناقض الشعور بين الذات والآخر؛ حيث اختلاف تأثير الشعور بالشيء نفسه على الذات والآخر، وقد ظهر هذا النوع في مواضع عديدة في شعر الحصري، ومنها قوله:

(من بحر الطويل)

وكيف غناءُ الطيرِ في غير أيكِها وقدْ بَعُدَتْ عنها فِراخٌ وَأوْكَـــارُ

وإنِّـــي لأوْلَـى بالبُكـــاءِ لأنَّهـــا تطِيرُ إذا اشْتَاقتْ وما أنا طَيَّارُ[1]

يتعجب الشاعر هنا من غناء الطير إذا بعدت عن موطنها، فأنى يكون لها أن تفرح وهي بعيدة عن صغارها وعشِّها، وإذا كان هذا هو حال الطير التي تستطيع الطيران والرجوع إلى عشها في أي وقت شاءت، فما بالكم بحالي وأنا عاجز عن الطيران لا أستطيع التحليق والرجوع إلى وطني مرة أخرى؛ لذلك فأنا أولى بالبكاء منها لأن حالي أصعب من حالها، وتتجلى مفارقة الأحوال هنا بوساطة التعبير عن التناقض بين حال الشاعر وحال الطير؛ حيث تمتلك الطير القدرة على الطيران عندما تشتاق، وهو ما يعكس حريتها في الهروب والتحليق بحثا عن راحتها أو ما تشتاق إليه، بينما الشاعر على النقيض من ذلك لا يملك القدرة على الطيران ليحقق ما يشتاق إليه مما يعكس شعوره بالعجز والقيد، ولا

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٣٢.

يخفى الدور الفعال للمفارقة هنا؛ حيث ساعدت في تجسيد مشاعر الحنين إلى الوطن، وتعميق مشاعر الغربة وما تطويه من ألم دفين وحزن عميق.

كما تبدو مفارقة الأحوال بين الذات والآخر في قول الحصري:

(من بحر الخبب)

يَا مَنْ جَحَدَتْ عيناهُ دمي وعلى خدَّيهِ تورُّدُهُ

خَداكَ قد اعترفا بدمي فَعَلامَ جُفونُك تَجْحَدهُ[١]

يفصح الشاعر في هذين البيتين عن التناقض العاطفي بينه وبين محبوبته؛ حيث يقرّ الشاعر بأنه قتيل هواها، ويتهمها بسفك دمه ويقدم الدليل على ذلك، وهو ظهور آثار دمه في حمرة خديها، بينما تتنكر هي لعلاقة الحب هذه وتجحدها رغم أن علاماتها واضحة على ملامحها، مما يجسد مفارقة بين الاعتراف والإنكار تضفي على البيت طابعا عاطفيا قويا ومثيرا للتأمل.

أيضا تبدو مفارقة الأحوال بين الذات والآخر في قول الحصري:

(من البحر الطويل)

وكنتُ أُداريها وأَرقِي سِمامَها على أنَّ أفعالي تُسَمّ بها الأفْعَى[٢]

يتحدث الشاعر هنا عن حاله مع زوجته وتعامله معها بلطف وحذر وتجنب إثارة غضبها . رغم خبثها . في محاولة لإصلاحها أو تجنب أذاها، إلا أن جهوده الطيبة هذه قد أتت بنتيجة عكسية وهو ما يظهر في قوله **(أفعالي تُسَمُ بها الأفعى)** فبدلا من تقويمها أصبحت أكثر شرا وخبثا، وهنا تتجلى مفارقة الأحوال بين حسن نوايا الشاعر وطيب أفعاله، وبين سوء نوايا زوجته وخبث أفعالها.

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص١٤٣.

(٢) **المصدر السابق** . ص٣٩٦.

كما تبدت مفارقة الأحوال بين الذات والآخر في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

بِنفْسِي حَبِيبًا خَانَنِي فهَوَيتُهُ فزَادَ قِلًى فازْدَادَ قلبي لهً حبًّا[1]

يعبر الشاعر هنا عن حبه لشخص قد خالف توقعاته وخانه، فبدلا من أن تولد تلك الخيانة كرها له كما هو المعتاد، إذا بالشاعر يزداد تعلقه وحبه لهذا الشخص، مما يعكس مدى تحكم هذا الحبيب بالمشاعر رغم أفعاله السلبية، وتكمن مفارقة الأحوال هنا في الجمع بين المتناقضات؛ حيث الخيانة والبغض من قِبل المحبوبة وما يقابلهما من شدة الحب والتعلق من قِبل الشاعر، مما يعكس حالا غير مألوفة وغريبة عن الطبيعة البشرية، ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد عبر تلك المفارقة قهرية حالة الحب التي يعيشها وسيطرتها عليه وعدم قدرته على التخلي عنها مهما كان رد فعل المحبوبة مما يعمق من معاناته.

كذلك تبدو مفارقة الأحوال بين الذات والآخر في قول الحصري:

(من بحر الطويل)

زَعَمْتُمْ بأنَّ الحُبَّ فيهِ تَذَلُّلٌ صَدَقْتُمْ وَفِيهِ للمِلاحِ تَعَزُّزُ[2]

يشير الشاعر هنا إلى الصورة الشائعة للحب كحالة من الخضوع والتذلل للحبيب، مبينا أن الحب في الوقت نفسه يمنح المحبوب المشار إليه بـ(الملاح) عزة ورفعة، مما يعكس تناقضا بين الذات والآخر في أثر الحب على كل منهما؛ حيث يكون المحب متذللا بينما يكون المحبوب عزيزا مترفعا، مما يسلط الضوء على الطبيعة المتناقضة في الغالب بين المحب ومحبوبه.

---

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢١٣.

(٢) **المصدر السابق** . ص٢٢٢.

وثمة موضع آخر تتجلى فيه مفارقة الأحوال بين الذات والآخر، وذلك في قول الحصري:

(من مجزوء الوافر)

فوجهُ الصبرِ للثكلى سميرٌ وهْوَ لي سَمِجُ[١]

الشاعر هنا يعقد مقارنة يبين فيها اختلاف تأثير الصبر على نفسه وعلى غيره ممن فقد عزيزا، موضحا المفارقة بين وقعه على نفسه ووقعه على غيره، ففي الوقت الذي يعتبر فيه الصبر أنيسا ومصدر عزاء لمن فقد عزيزا، إذا به ثقيل وغير محبب بالنسبة للشاعر، وهذا التناقض بين رؤية الثكلى للصبر ورؤية الشاعر له يعكس مفارقة وجدانية تزيد من عمق معاناة الشاعر.

وهكذا يتبين جلاء مفارقة الأحوال في شعر الحصري بكل وضوح عبر التناقضات الشعورية بين المشاعر المتضادة كالفرح والحزن، والحب والحرمان، واللذة والألم، مما كان له أثره في إثارة انتباه المتلقي ودفعه إلى التفكير العميق فضلا عن تعزيز التأثير العاطفي.

وعلى ضوء ما سبق يتبين كيف تجلت المفارقة بأنواعها المختلفة في شعر الحصري، تلك المفارقة التي تنبني على المخالفة بين المعنى الظاهري والمعنى المقصود، مما أجبر المتلقي على سبر أغوار النص والتعمق في ألفاظه ومعانيه للوصول إلى مراد الشاعر من تلك المفارقة، مما كان له أثره في تعميق المعنى وتأكيده في النفس، فضلا عما يحمله ذلك من المتعة والإثارة والتشويق تلك الأشياء التي ينبني عليها الشعر في المقام الأول.

(١) **أبو الحسن الحصري القيرواني** . ص٢٩٧.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة مع شعر أبي الحسن الحُصري القيرواني يتبين كيف وفق هذا الأديب الفذ في التعبير عما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس بوساطة المفارقة التي ظهرت بأنواعها العديدة في شعره مما أضفى عليه بعدا جماليا متفردا، وطابعا فنيا متميزا ساعد في تعميق المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي، هذا وقد كشفت الدراسة عن عدة نتائج كان من أهمها ما يأتي:

- معظم الدراسات اللغوية الغربية الحديثة قد استمدت أصولها من التراث العربي القديم، وإن اختلفت المسميات.
- هناك علاقة وطيدة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفارقة؛ حيث يدور المعنى الاصطلاحي للمفارقة حول التباين والاختلاف بين المعنى الظاهري للفظ والمعنى المقصود منه، وهذا ما أفاده المعنى اللغوي.
- تُبنى المفارقة من وجود تناقض ظاهري يحدث توترا واضطرابا للقارئ، هذا الأمر الذي يجعله يُعمل ذهنه في محاولة للتوفيق بين هذا التناقض، مما يساعد في خلق التفاعل بين الباث والمتلقي والنص.
- تضافرت الكثير من الظروف الصعبة على شاعرنا أبي الحسن الحُصري منذ طفولته وحتى شيخوخته بدءا من عاهة عماه، ومرورًا بموت أبيه ثم اغترابه وغدر زوجته به، وانتهاء بموت ابنه عبد الغني، مما كان باعثا قويا لتجلي المفارقة في شعره.
- كان للمفارقة حضور كبير في شعر الحصري، وقد برع في توظيفها رغم عدم اهتدائه لمصطلح المفارقة؛ حيث استوعبت أشعاره العديد من أنواع المفارقة، مما يؤكد أن المفارقة وإن كانت وليدة العصر الحديث فهذا من حيث المسمى فقط، أما من الناحية التطبيقية فهي قديمة قدم الشعر العربي.
- استوعب شعر الحصري أنواعًا عديدة للمفارقة كالمفارقة اللفظية، والتصويرية والإيقاعية، ومفارقة الأحوال، وقد تجلَّت في أشعاره التي تحدَّث فيها عن تبدل أحواله نتيجة لنكبات الدهر له، كأسلوب غير مباشر لإظهار قوته وتماسكه أمام ما مرَّ به من ظروف صعبة من شأنها أن تكسر أي إنسان.

- وُفق الشاعر في توظيف المفارقة اللفظية بنوعيها المعجمي والتركيبي، محمِّلا إياها غايات دلالية وجمالية استطاع عبرها تكثيف اللفظ وتحميله بأكثر من معنى.
- استعان الشاعر بوسائل علم البيان، كـ(الكناية، والاستعارة، والتشبيه)، لتحقيق المفارقة التصويرية، مما أضفى على شعره رونقا وجمالا.
- كان للمفارقة الإيقاعية حضور كبير في شعر الحصري، ولم يقتصر دورها على الجانب الجمالي فحسب، بل كان لها دور مهم في إيصال المعنى للمتلقي على أكمل وجه فضلا عن إحداث الإثارة والمتعة.
- برزت المفارقة الموقفية في الكثير من شعر الحصري، مما كان له تأثيره الفعال في نفس المتلقي؛ حيث كسر بها أفق انتظاره، وعكسَ توقعه مما يثير الدهشة والعجب.
- ظهرت المفارقة الرومانسية في بعض أشعار الحصري، وقد بناها عبر الجمع بين حالتين متناقضتين يعيشهما الشاعر بين الوهم والحقيقة؛ حيث يبدأ الشاعر برسم صورة حالمة سعيدة، ثم لا تلبث أن تتلاشى وتحل محلها صورة حزينة بائسة، أو العكس.
- تجلَّت مفارقة الأحوال في شعر الحصري بكل وضوح عبر التناقضات الشعورية بين المشاعر المتضادة كالفرح والحزن، والحب والحرمان، واللذة والألم، مما كان له أثره في إثارة انتباه المتلقي ودفعه إلى التفكير العميق فضلا عن تعزيز التأثير العاطفي.

وأخيرًا توصي الباحثة بمزيد من الدراسات الأدبية المتعمقه حول شعر أبي الحسن الحصري، تقديرًا لدوره الفعال في إثراء التراث الأدبي، ويمكن أن يكون منها:

- التناص في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني.
- التكرار وأثره في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني.
- أثر القرآن الكريم في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني.
- جماليات الإيقاع في شعر أبي الحسن الحصري القيرواني.

(هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل)

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصدر الرئيس في البحث:

- **أبو الحسن الحصري القيرواني** . محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى . مكتبة المنار . تونس . د.ط . ١٩٦٣م.

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى:

أولا: الكتب الأدبية:

- **أسرار البلاغة** . عبد القاهر الجرجاني . تعليق: محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة . دار المدني . جدة . د.ط . د.ت.
- **الأعلام** . خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط٧ . ١٩٨٦م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة** . الخطيب القزويني . وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٢م.
- **بنية اللغة الشعرية** . جان كوهن . ترجمة: محمد الولي ، محمد العمري . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٨٦م.
- **تاريخ الأدب العربي** . عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت . ط١ . ١٩٨١م . جـ٤.
- **تشريح النقد محاولات أربع** . نورثرب فراي . ترجمة: محمد عصفور . عمادة البحث العلمي . الامعة الأردنية . عمان . د.ط . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** . أبو الحسن علي بن بسام . تحقيق/ إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ط١ . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . جـ٤.
- **شعر إبراهيم ناجي دراسة أسلوبية بنائية** . شريف سعد الجيار . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . د.ط . ٢٠٠٨م.
- **العروض الواضح وعلم القافية** . محمد علي الهاشمي . دار القلم . دمشق . ط١ . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م .

- **عن بناء القصيدة الحديثة** . علي عشري زايد . مكتبة ابن سينا . القاهرة . ط٤ . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
- **فلسفة البلاغة** . ريتشاردز . ترجمة: سعيد الغانمي ، ناصر حلاوي . أفريقيا الشرق . المغرب . د.ط . ٢٠٠٢م.
- **فن القص (في النظرية والتطبيق)** . نبيلة إبراهيم . مكتبة غريب . القاهرة . د.ط . د.ت.
- **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية** . محمد محمد زيتون . دار المنار . القاهرة . ط١ . ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- **المرشد الوافي في العروض والقوافي** ـ محمد بن حسن بن عثمان . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.
- **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة** . محمد العبد . دار الفكر العربي . ط١ . ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م.
- **المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم دراسة تطبيقية** . نعمان عبد السميع متولي . دار العلم والإيمان . القاهرة . د.ط . ٢٠١٤م.
- **المفارقة في شعر الرواد** . قيس حمزة الخفاجي . دار الأرقم للطباعة والنشر . بابل . العراق . ط١ . ٢٠٠٧م.
- **المفارقة وصفاتها** . ميويك . ضمن موسوعة المصطلح النقدي . ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ط٢ . ١٩٨٣م.

ثانيا: المعاجم والقواميس اللغوية:

- **لسان العرب** . ابن منظور . دار إحياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان . ط٣ . ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م . جـ١٠ . مادة (فرق).
- **المعجم الأدبي** . نواف نصار . دار ورد للنشر . الأردن . ط١ . ٢٠٠٧م.
- **المعجم الفلسفي** . جميل صليبا . دار الكتاب اللبناني . بيروت . لبنان . د.ط . ١٩٨٢م . جـ٢.

- **المعجم الفلسفي** . مراد وهبة . دار قباء الحديثة . القاهرة . د.ط . ٢٠٠٧م.
- **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة** . سعيد علوش . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ط١ . ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** . مجدي وهبة، كامل المهندس . مكتبة لبنان . بيروت . ط٢ . ١٩٨٤م.
- **معجم المؤلفين** . عمر رضا كحالة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط١ . ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م . جـ٢ .
- **المعجم الوسيط** . مجمع اللغة العربية . مكتبة الشروق الدولية . القاهرة . ط٤. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م . مادة (فرق).
- **معجم مقاييس اللغة** . أبو الحسن أحمد بن فارس . تحقيق/ عبد السلام هارون . دار الفكر . المجمع العلمي العربي السياسي . القاهرة . د.ط . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . جـ٤ . مادة (فرق).

ثالثا: كتب الحديث النبوي:

- **الأدب المفرد** . الإمام الحافظ بن إسماعيل البخاري . تحقيق: سمير بن أمين الزهري . مكتبة المعارف . الرياض . ط١ . ١٣١٩هـ . ١٩٩٨م

رابعا: الرسائل الجامعية:

- **المتوقع واللا متوقع في شعر المتنبي "مقاربة نصية في ضوء نظرية التلقي والتأمل"** . نوال مصطفى إبراهيم . إشراف: عبد القادر أحمد الرباعي . جامعة اليرموك . كلية الآداب . الأردن . ٢٠٠٦م.
- **بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية "شعر المتنبي نموذجا"** . رضا كامل . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٠م .

خامسا: المجلات والدوريات:

- **تجليات المفارقة في شعر عبد الرحيم عمر** . رجاء خليل عقيلان . مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية . كلية الآداب . جامعة اليرموك . الأردن . ٢٠٢٠م.
- **المفارقة في القص العربي المعاصر** . سيزا إبراهيم . مجلة فصول . عدد ٢ . ١٩٨٢م .